

وَفَاتَاةُ النَّسَبِ

وَاطْلُغْ الْمَدِينَةَ



كتبه

نزار بن عبد القادر بن محمد الربيع
الغلاوي العسقلاني

من مطبوعات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بمبنى الوزارة لاساتة للأوقاف
دولة قطر



فَاتَاةُ النَّسَبِ

وَفَاتَاةُ النَّبِيِّ ﷺ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأُظْلِمَتِ الْمَدِينَةُ

تَقْدِيمُ

الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ طَه

كُتِبَ

بِزِلَالِ بْنِ عَبْدِ الْغَاوِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّيَّانِيِّ الْقَوْلَاوِيِّ الْمُسْقَلَانِيِّ

فِلَسْطِينِ الْمُنْصَبَةِ - غَزَّةُ ١٤٢٨ هـ

مِنْ مَطْبُوعَاتِ

وَرِثَانَةِ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ

إِدَارَةِ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِمَوْعِدِ الدَّوْلَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْأَوْقَافِ

دَوْلَةُ قَطَرْ

الطبعة الثانية
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

| | |
|--------------------------|--|
| عدد الأجزاء : (١) | اسم الكتاب : وفاة النبي صلى الله عليه وسلم |
| عدد المجلدات : (١) | المؤلف : الدكتور الشهيد نزار ريان (ت ١٤٣٠هـ) |
| نوع الورق : شاموا فاخر | الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات |
| نوع التجليد : مجلد فني | موضوع الكتاب : سيرة نبوية |
| عدد الصفحات : (١٢٨ صفحة) | مقاس الكتاب : (٢٤ سم) |
| عدد ألوان الطباعة : لوان | تصنيف ديوي الموضوعي : (٢٣٩.٢) |

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي بمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر .

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 32 - 4



العسقلاني ، نزار عبد القادر محمد ريان النعلواني

وأظلمت المدينة ، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

نزار عبد القادر محمد ريان النعلواني العسقلاني

عدد الصفحات ١٢٨ ص ، حجم الورق 17×24 سم ، اسمه A5

١. أسيرة النبوية ٢. وفاته صلى الله عليه وسلم

ر . ي . ١

عسق

ديوي : ٢٣٩٠٢



دار المنهاج

لبنان - بيروت

هاتف: 05 806906 - فاكس: 05 813906

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سئالم بأجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ،
وخاتم رسله ، وبعد :

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر - وقد وفقها الله لأن
تضربَ بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة - لَتَحْمَدُ الله سبحانه وتعالى على
أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم .

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة
العلوم الشرعية ، ورغد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة
والمعاصرة ؛ وذلك منذ ما يزيد على ستة عقود ، وقد جاء مشروع إحياء
التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة منذ عدة سنوات
امتداداً لتلك الجهود، وسيراً على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر .

ومنذ انطلاقة هذا المشروع المبارك يسّر الله جلّ وعلا للوزارة إخراج
مجموعة من أمهات كتب العلم في فنون مختلفة معظمها يُطبع لأول مرة ؛
كتفسير العُلَيمي « فتح الرحمن في تفسير القرآن » ، و« مرسوم
المصحف » للعُقيلي ، و« الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة » لأبي
بكر عبد الغني المشتهر باللبيب ، و« معاني الأحرف السبعة » لأبي الفضل
عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي ، تحقيق الدكتور حسن ضياء
الدين عتر ، و« حاشية مسند الإمام أحمد » للسندي ، و« شرحين لموطأ
الإمام مالك » - لكُلٍّ من القنازعي والبوني ، و« شرح مسند الإمام
الشافعي » للرافعي ، و« نخب الأفكار شرح معاني الآثار » للبدر العيني ،
و« مصابيح الجامع » للقاضي بدر الدين الدّمَاميني ، و« التقاسيم
والأنواع » للإمام ابن حبان .

إضافة إلى « صحيح الإمام ابن خزيمة » بتحقيقه الجديد المتقن ، ومثله كتاب « السنن الكبرى » للإمام النسائي ، المحقق على عدة نسخ خطية ، و« المخلصيات » لأبي طاهر المخلص ، و« مطالع الأنوار » لابن قرقول ، و« نهاية المطلب في دراية المذهب » للإمام الجويني ، بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالى ، عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي ، و« الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف » للإمام ابن المنذر ، بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه ، عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي أيضاً ، و« التبصرة » للإمام اللخمي « حاشية الخلوتي » في الفقه الحنبلي .

ومؤخراً كتاب « الأصل » لمحمد بن الحسن الشيباني ، كاملاً محققاً على أصول عدة .

وفي الطريق إصدارات أخرى مهمة تمثل الفقه الإسلامي في عهوده الأولى .

كما طبعت الوزارة لأول مرة كتاب « جامع الآثار في السير ومولد المختار » لابن ناصر الدين الدمشقي ، و« الوجيز في السيرة » و« عصر السيرة » كلاهما للدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله .

وفي معتقد أهل السنة والجماعة على مذهب السلف الصالح أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً وهو : « الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد » لابن العطار ، تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى .
هذا في جانب ما يُنشر لأول مرة من كتب التراث .

أما في الدراسات والتأليف المعاصرة : فقد نشرت الوزارة مجموعة متميزة من الرسائل العلمية وغيرها ؛ منها : « القيمة الاقتصادية للزمن » ، و« نوازل الإنجاب » ، و« الأحكام المتعلقة بالتدخين » ، وغيرها .

وفي الطريق - بإذن الله تعالى - ما تقر به عيون الباحثين من دراسات
معاصرة في القرآن والسنة ، والنوازل بأنواعها المختلفة .

* * *

ويسرنا أن نقدم اليوم كتاباً من نوع خاص ، يحرك القلوب المؤمنة
ويذكرها بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مستعرضاً أيامه
الأخيرة في هذه الدار ، منذ اشتداد مرضه إلى أن لقي ربه جل وعلا ، وقد
كانت أياماً عصيبة على الصحابة الكرام .

وقد وُفق الكاتب في الانتقال بالقارئ نقلة شعورية متخطية حدود
الزمان والمكان ؛ ليعيش تلك الأيام والليالي بسكونها وطولها وشدتها .
ولئن كان هذا الكتاب في أصله بحثاً علمياً جامعياً . . فإن الباحث
تمكن أن يجعله من كتب الرقاق بجدارة فائقة .

ولم يمر وقت طويل على كتابته حتى يلحق الكاتب بربه جل وعلا في
غارة يهودية غادرة على منزله بغزة ، أودت بحياته وحياة زوجته وأولاده
فرحمهم الله رحمة واسعة .

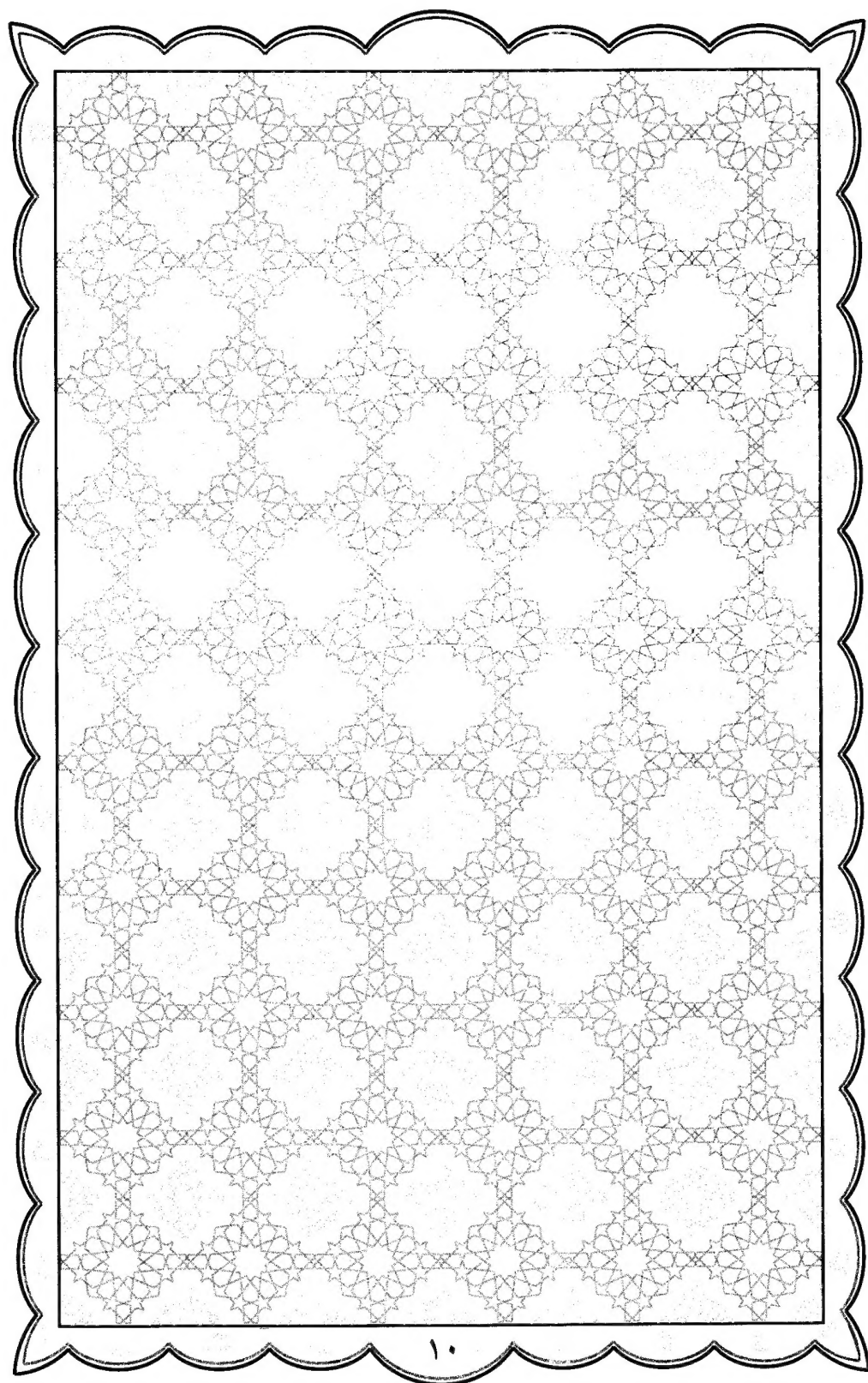
ويسرنا أن نقدم للأمة هذه الطبعة ؛ تذكيراً وتعزية بالنبي صلى الله عليه
وسلم ، وتكريماً لعلماء فلسطين وشهادتها ، وإهداء للمرابطين الصابرين
في أكناف بيت المقدس ، وعزاء لكل مسلم في زمن تكالب الأعداء ؛ فإن
في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عزاء لكل مصاب .

نسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا العمل ، وأن يزيدنا من فضله وتوفيقه

إدارة الشؤون الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.



بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الْقَائِلِ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴿ فَنِعْمَ الْعِدْلَانِ
وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةُ!! كَمَا قَالَ الْفَارُوقُ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ لِلْعَالَمِينَ ، الَّذِي مَا
مَاتَ حَتَّى تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ
عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ . وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ الْمُجَاهِدِينَ ،
وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِذَا كَانَ الْأَثَرُ عَنْ أَبِي السَّبْطَيْنِ يَقُولُ : (إِذَا مَاتَ
الْعَالِمُ .. أَنْتَلَمَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمَةٌ ، وَلَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ)^(١) وَإِذَا كَانَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ فَسَّرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ
أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ .

(١) « المقاصد الحسنة » رقم (٧٩) ، وروي نحوه مرفوعاً ولا يصح .

قَالَ : مَوْتُ عُلَمَائِهَا . . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمُرْتَفِعُ إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاهُ لِلْعَالَمِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ إِلَى
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ؟ !

لَا شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ مُصِيبَةً فِي الدِّينِ لَيْسَ وَرَاءَهَا مَرَمَى ، وَفَتْحَةٌ
فِي الْإِسْلَامِ لَا يُوجَدُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ مَنْ يَقْوَى عَلَى سَدِّهَا ، وَلِذَا
وَرَدَتْ الْأَثَارُ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ تَقُولُ مَا مُؤَدَّاهُ : إِنَّا مَا أَضْجَعْنَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا .

هَذَا ؛ وَإِنَّ مِمَّا أُرْسِلَ عَلَيْهِ الدُّكْتُورُ نِزَارُ الرِّيَّانِ إِضَاءَةً بَيَانِيَّةً ،
وَأَشِعَّةً بِلَاغِيَّةً . . قِصَّةَ مَرَضِ سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ ، وَمَا رَافَقَهُمَا مِنْ تَفَاعُلَاتٍ وَأَحْدَاثٍ .

وَلَقَدْ وَفَّقَ - رَعَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَصْطِفَاءِ الْخَطِّ الْعَرِضِ لِهَذَا
الْحَدَثِ الْجَلِيلِ ؛ حَيْثُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ عُنْوَانٌ : « وَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ » .
وَهَذَا أَلْبَحَثُ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهِ ، وَقِلَّةِ صَفْحَاتِهِ . . يَتَمَيَّزُ
بِالْخَصَائِصِ التَّالِيَةِ :

● إِنَّ الْمُسْتَنْدَاتِ الْحَدِيثِيَّةَ الَّتِي أُرْتَكَزَ عَلَيْهَا الْمُؤَلَّفُ كُلُّهَا بِلَا
اِسْتِثْنَاءٍ وَثَائِقُ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ ؛ إِذْ هِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ الصَّحَّةِ وَالْحُسْنِ ،
فَهِی مُنْتَقَاةٌ مُصَفَّاءُ ، مُخَرَّجَةٌ تَخْرِيجًا عِلْمِيًّا ، وَمُبْرَأَةٌ مِنْ وَضْمَةِ
الضَّعْفِ وَالْوُضْعِ ، وَلَا غَرَوْ ؛ فَمُحِبَّرٌ هَذَا أَلْبَحَثُ مِنْ أَهْلِ التَّخْصُّصِ

فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ النَّاطِمُ الْقَدِيمُ قَدْ قَالَ فِي « أَرْجُوزَتِهِ » :
وَلْيُعْلَمِ الطَّالِبُ أَنَّ السِّيَرَا

تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أَنْكَرَا^(١)

فَإِنَّ هَذَا أَلْبَحْثَ - وَهُوَ جُزْءٌ آخِرٌ مِنَ السِّيَرَةِ الْعِطْرَةِ - رَفَلَ فِي
حُلَلِ الصِّحَّةِ وَالْمَتَانَةِ ، وَلَبَسَ بُرْدِي الْأَصَالَةِ وَالْأَنَاقَةِ ، فَلَمْ تَشْنُهُ
نَكَارَةً ، وَلَمْ يَنْخُزْ فِي سَطُورِهِ الضَّعْفُ .

● يِرَاعُهُ الدُّكْتُورُ نِزَارُ الرِّيَّانِ كَانَتْ تَمُجُّ صِدْقَ الْأَحَاسِيسِ ،
وَتَنْقُسُ الصُّورَةَ الْبَاطِنَةَ لِلْكَاتِبِ ، بَلْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ ، فَكَانَتْ
مَذَامِغُ الْقَلْبِ تَسِيلُ عَلَى الطُّرُوسِ عِبْرَاتٍ دَامِيَّةٍ ، وَتَبَدَّتِ الْأَلْفَافُ
مُتَوَاصِلَةً الْأَحْزَانِ ، مُتَجَهِّمَةً الْمَعَالِمِ ، وَمَا زَادَتْهَا الْمِسْحَةُ الْأَدْبِيَّةُ
إِلَّا وَابِلًا مِنَ الْأَنَاتِ وَالْآهَاتِ ، تَتَدَفَّقُ مِنْ عَاطِفَةِ جَيَاشَةٍ بِالْإِيمَانِ
الرَّاسِخِ بِالْحُبِّ ؛ لِذَلِكَ كَانَ عَرَضُ الْمَرَضِ وَالْوَفَاةِ نَاصِعًا
بِالْحَقَائِقِ كَامِلَةً ، وَمَا كَادَ أَنْ يَفِيَّ بِحَقِّ هَذَا الْمُصَابِ الْعَظِيمِ لَوْلَا
تَمَوُّجُ الْعَاطِفَةِ وَتَفَاعُلُهَا الصَّادِقُ .

● لَا مِرَاءَ أَنَّ أَلْبَحْثَ هُوَ حَلَقَةٌ آخِرَةٌ مِنَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَيْضًا لَا
جِدَالَ أَنَّ هَذِهِ الْحَلَقَةُ مُنْتَشِرَةٌ أَجْزَاؤُهَا فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَبُطُونِ
التَّوَارِيخِ ، إِلَّا أَنِّي - بِحَسَبِ عِلْمِي - لَمْ أَرِ مَنْ خَصَّ هَذِهِ الْحَلَقَةَ

(١) « أَلْفِيَّةُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ » لِلْعِرَاقِيِّ (ص ٢٩) .

بِالتَّأْلِيفِ اسْتِفْلَالاً ، وَلَا مَنْ أَحْكَمَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَوْضُوعِ إِحْكَاماً يَلِيقُ
بِمَقَامِ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ؛ مِنْ حَيْثُ جَمَعَ الرُّوَايَاتِ وَأَنْتَقَاوُهَا،
وَضَمَّ الْمُتَنَائِرَ وَعَرَّضَ النَّتَائِجَ ، وَتَقَيَّدَ الْأَوَابِدَ ، وَتَرَصَّعَ الْبَحْثَ
بِالْفَوَائِدِ ، وَالتَّقَنُّنُ فِي تَسْلُسِلِ الْأَحْدَاثِ دُونَ تَرْكِ فَجَوَاتٍ تُخَفِّفُ مِنَ
الْوُطَاةِ ، أَوْ تُبَدِّدُ ذَلِكَ التَّفَاعُلَ الْإِيمَانِيَّ ، فَكَأَنَّ فِكْرَهُ وَبِرَاعَتَهُ يَدْفَعَانِ
الْمُتَابِعَ دَفْعاً مُنْكَرَاً إِلَى ارْتِشَافِ الْبَحْثِ حَتَّى الثَّمَالَةِ ، وَهَذَا نَهْجُ
الْمُؤَفِّقِينَ الَّذِينَ بَلَّغُوا الشَّأَوَ الْقَصِيَّ فِي الْإِحْسَانِ وَالْإِتْقَانِ .

● كَانَ فَلَاسَفَةً أَصْطَفَاهُ لِهَذَا الْبَحْثِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ نَجَمَتْ
مِنْ ذَلِكَ الظُّلُمِ الْمُتْرَاكِمِ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَى إِخْوَتِنَا الْفِلَسْطِينِيِّينَ ،
وَأَحْتِكَاهُ بِقَوَافِلِ الشُّهَدَاءِ الَّتِي تَرْتَفِعُ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى عَلَيَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ
وَالنَّعِيمِ السَّرْمَدِيِّ ، وَرُضُوحِ الْمُجْتَمَعِ الدَّوْلِيِّ لِلتَّسْلُطِ الْأَمْرِيكِيِّ
الصُّهْيُونِيِّ ، فَمَحَّضَ عَنْ هَذِهِ الْمُكَابَدَاتِ هَذِهِ النِّفَاثُ الْإِيمَانِيَّةُ ،
فَإِنَّ فِيهَا عَزَاءً وَعَزَاءً ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَوْفِيقًا .

وَصَنِيعُ الدُّكْتُورِ نِزَارِ أُمْتِثَالُ لِلتَّوْجِيهِ النَّبَوِيِّ الْأَمْرِ بِالتَّعْزِي
بِمُصِيبَتِنَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « إِذَا
أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ . . فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي ، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ
الْمَصَائِبِ »^(١) ، وَفِي لَفْظِ لَابْنِ مَاجَهَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَيُّمَا أَحَدٍ

(١) مسند الدارمي (٨٥) .

مِنَ النَّاسِ أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ . . فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِى عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي
تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ
عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي « (١) .

وَهَذَا تَوْفِيقٌ ظَاهِرٌ مِنَ الْمَوْلَى - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - لِلْمُؤَلَّفِ .

فَهَنِئًا لَهُ إِتْقَانُهُ لِلْبَحْثِ ، وَتَنْقِيَتُهُ مِنْ شَوَائِبِ الضَّعْفِ ، وَإِصَابَتُهُ
السُّنَّةَ فِي التَّعَزِّيِّ بِالْمُصِيبَةِ الْعُظْمَى ، وَتَذَكِيرِ النَّاسِ بِهَا فِي هَذَا
الْعَصْرِ الْمُتَمَوِّجِ بِجَلَائِلِ الْمَصَائِبِ ، وَكَثْرَةِ الْهَزَجِ .

وَبَعْدُ : فَإِنَّ دَارَ الْمُنْهَاجِ إِذْ تُخْرِجُ هَذَا الْبَحْثَ اللَّطِيفَ فِي ثَوْبِ
قَشِيبٍ ، وَإِخْرَاجِ فَنِّيٍّ مُتَمَيِّزٍ . . لَتَهَيَّبُ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي
أَصْطَلَتْ بِنِيرَانِ الْفُرْقَةِ وَالْغُرْبَةِ ، وَتَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَيْهَا أَنْ تَقْرَأَ هَذَا
الْبَحْثَ وَأَضْرَابَهُ ؛ لِتَتَعَزَّى فِي مُصِيبَتِهَا ، وَتَنْهَضَ مِنْ كَبَوْتِهَا ،
وَتَتَشَطَّ لِلِاحْتِكَامِ فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ إِلَى الْمَصْدَرَيْنِ النَّيِّرَيْنِ :
كِتَابِ اللَّهِ الْفُرْقَانِ ، وَسُنَّةِ الْأُمُورِ بِالْبَيَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

الناشر

تَقْدِيمُ

كُتِبَهُ مَشْكُورًا

أُسْتَاذِي وَشَيْخِي أَبُو أَيْمَنَ طَهَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ،
وَمَنْ أَسْتَنْ بِسُتَّةِهِ ، وَاهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَشَرَفٌ أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي أَيُّ شَخْصٍ كِتَابَةَ تَقْدِيمِ
لِكِتَابِهِ ، وَيُضْبِحُ هَذَا الشَّرَفَ عَظِيمًا عِنْدَمَا يَطْلُبُ ذَلِكَ عَالِمٌ فَاضِلٌّ
كَالدُّكْتُورِ نِزَارِ رِيَّانَ .

وَيَزِدَادُ هَذَا الشَّرَفَ لِيُضْبِحَ أضعافًا مضاعفةً عِنْدَمَا يُخَاطِبُنِي
بِهَذَا النِّدَاءِ الْحَبِيبِ : (الْوَالِدُ الْمُرْتَبِي) ، فَحَيَّا اللَّهَ هَذَا الْأَخَ
الطَّيِّبَ ، وَزَادَهُ بَرًّا وَتَوَاضَعًا .

وَيَبْلُغُ هَذَا الشَّرَفَ الذَّرْوَةَ عِنْدَمَا يَكُونُ التَّقْدِيمُ لِكِتَابٍ عَنِ
الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا الْكِتَابُ - « وَأَظْلَمَتِ
الْمَدِينَةُ » - الصَّغِيرُ فِي حَجْمِهِ ، الْقَلِيلُ فِي صَفَحَاتِهِ . . هُوَ الْكَبِيرُ
وَزَنُهُ ، الْكَثِيرُ فِي نَفْعِهِ وَفَائِدَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لَقَدْ كَانَ الْمُؤَلَّفُ مُوَفَّقًا عُمُومًا ، وَفِي اخْتِيَارِ الْعُنُوانِ بِصِفَةِ
خَاصَّةٍ ؛ إِذْ صَوَّرَ بِدَقَّةٍ حُزْنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا عَلَى فِرَاقِ سَيِّدِ الْخَلْقِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا مِرَاءَ فِيهَا : أَنَّ هَذَا
الرَّاحِلَ الْكَرِيمَ صَلَوَاتُ رَبَّنَا وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَرَكَ وَرَاءَهُ نُورًا وَضِيَاءً
لِلْعَالَمِينَ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

وَلَا يَفُوتُنِي أَنْ أُكِّدَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الثَّمِينَ هُوَ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ
النَّادِرَةِ فِي زَمَانِنَا ، الْخَالِيَةِ مِنَ الْأَخْطَاءِ اللَّغَوِيَّةِ ، وَالْأَحَادِيثِ
الْمَوْضُوعَةِ وَالضَّعِيفَةِ .

جَزَى اللَّهُ أَخَانَا الْحَبِيبَ أَبَا بِلَالٍ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ نِزَارٍ
عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ ، وَبَدَّلَ مِنْ جُهْدٍ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْظُمَ
نَفْعُهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مَا يُقَدِّمُهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ قُدْوَةً
لِلْكِتَابِ وَالْمُتَحَدِّثِينَ ، فَيَخْرِصُوا عَلَى الدَّقَّةِ وَالضَّبْطِ ، وَخَاصَّةً عِنْدَ
الْاِسْتِشْهَادِ بِالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْاهْتِمَامُ بِالْكِيفِ لَا بِالْكَمِّ .

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ ، وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ : مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ طَه

فِلَسْطِينُ . غَزَّةُ . الْبُرَيْجُ

(٢٠) ربيع الأول (١٤٢٨ هـ)

مُقَدِّمَةُ الْبَاحِثِ

« وَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ » عَنْوَانُ دِرَاسَةٍ تَعْرِضُ الْأَحَادِيثَ وَالْأَنَارَ الْوَارِدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، أَوْرَدَهَا الْبَاحِثُ فِي مَطَالِبِ مُتَرَجَمَةٍ ، تَابَعَ فِيهَا مَا حَدَّثَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ بَدَأَ ظُهُورُ الْمَرَضِ عَلَيْهِ ، حَتَّى قَبَضَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ .

وَبَلَغَتْ رَوَايَاتُ الْبَحْثِ مِئَةً وَثَمَانِينَ عَشَرَ حَدِيثًا^(١) ، وَفِيهَا تَكَرَّرَ وَتَقَطَّعَ أَقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الدَّرْسِ الْمَوْضُوعِيِّ ، الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ الْأَسْتِفَادَةُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي مَوَاطِنَ عِدَّةٍ ، غَيْرَ أَنَّ الْمُكَرَّرَ فِي الْبَحْثِ لَا يُشْكَلُ ظَاهِرَةً بَيِّنَةً .

وَأَكْتَفَى الْبَاحِثُ بِالْحَدِيثِ الْمَقْبُولِ : الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ بِشَقِيهِمَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثًا وَاحِدًا ضَعِيفًا فِيمَا يَعْلَمُ ، وَحَكَّمَ عَلَى الْأَحَادِيثِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا « الصَّحِيحَيْنِ » ، فَحَكَّمَهُمَا مَعْلُومٌ .

(١) بِإِعْتِبَارِ تَقْطِيعِ الْحَدِيثِ ، لَا بِإِعْتِبَارِ أَصْلِهِ وَصَحَابِيِّهِ .

وَصَدَّرَ الْحَاشِيَةَ بِالْحُكْمِ عَلَى الْحَدِيثِ بِخَطِّ غَلِيظٍ ؛ لِيُعْلَمَ مِنْ
سَرِيعِ النَّظَرَةِ حُكْمُهُ .

وَقَالَ أَنْ تَجِدَ إِلا قِصَارَ عَلَى الْخَبَرِ الْمَقْبُولِ فِي كُتُبِ الرِّقَاقِ .

وَكُتِبَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّيَّةِ أُصُولِ
الدِّينِ ، قِسْمِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَعُلُومِهِ ، بِفِلَسْطِينِ ، وَقُدِّمَتْ
ضَمْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبُحُوثِ لِلتَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ بِفَضْلِ اللَّهِ
تَعَالَى وَمِثَّتِهِ سَنَةَ (١٤١٧ هـ) .

وَأَعَادَ الْبَاحِثُ النَّظَرَ فِيهِ بُغْيَةً نَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، بَعْدَ النِّشْرِ
الْعِلْمِيِّ الْخَاصِّ ، وَعَلَيْهِ : فَقَدْ تَمَّ التَّعْدِيلُ فِيهِ فِي أَكْثَرِ مَنْ
مَوْطِنِ ، وَحَذَفَ الْبَاحِثُ مِنْهُ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَبَيَّنَ لَهُ
ضَعْفُهَا ، مَعَ حُكْمِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ^(١) ، وَأَضَافَ
إِلَيْهِ بَعْضَهَا ، وَغَيَّرَ فِي طَبَعَاتِ بَعْضِ مَصَادِرِهِ ، مِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى
عِبَادِهِ ، وَنُشِرَ آخِرًا .

وَأَخْتِيارُ الْبَاحِثِ عُنْوَانَ الدِّرَاسَةِ : « وَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ » قَبَسٌ
مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حِينَ يَقُولُ عَنْ

(١) وَالَّذِي جَعَلَ الْبَاحِثَ يَعْتَمِدُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ : أَنَّهُ اشْتَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْبُحْثِ قَبُولَ
حُكْمِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ عَلَى الْأَخْبَارِ ، وَاكْتَفَى فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ بِحُكْمِهِ وَدِرَاسَتِهِ .

الْمَدِينَةِ : إِنَّهَا (أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ)^(١) سَاعَةً وَارَى حَبِيبَنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّرَابُ .

وَبَلَغَتْ الدَّرَاسَةُ : اثْنِي عَشَرَ مَطْلَبًا ، وَخَاتَمَةً .

● فِي الْمَطْلَبِ الْأَوَّلِ : الْأَمَارَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

بَيْنَ الْبَاحِثِ فِيهَا الْأَحَادِيثَ وَالْآثَارَ الْوَارِدَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى دُنُوِّ
أَجَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ الْأَخْبَارُ الَّتِي فَهِمَ مِنْهَا
الصَّحَابَةُ قُرْبَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● وَفِي الْمَطْلَبِ الثَّانِي : تَلَطُّفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِأَصْحَابِهِ فِي إِطْلَاعِهِمْ عَلَى خَبَرِ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي هَذَا الْمَطْلَبِ إِشَارَاتُ نَبَوِيَّةٍ خَفِيفَةٍ ؛ مَا بَيْنَ هَمْسَةٍ
وَسَكْنَةٍ ، وَنَظَرَةٍ وَسَكْتَةٍ ، يَفْهَمُ مِنْهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمْ : أَنَّهُ أَجَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَضَرَ ، وَأَنَّهُ يُوشِكُ
الْفِرَاقُ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ الرَّفَاقِ .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، يَرِدُ فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ بِرَقْمِ (١١٢) .

وَيَكْثُرُ فِي هَذَا الشَّانِ إِحْيَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقْلُ فِيهِ صَرِيحُ الْكَلَامِ .

وَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ وَفِيكَ فِطَانَةٌ
سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ

وَمَا إِشْفَاقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرْفُّقُهُ فِي إِخْبَارِهِمْ . .
إِلَّا لِأَنَّ الْأَصْحَابَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَصَوَّرُونَ وَفَاةَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرَغَمَ رِقَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَهَيُّتِهِ أَصْحَابِهِ لِحَبْرِ
وَفَاتِهِ ، وَتَنَسِيرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَتَابُعِ الْآيَاتِ فِيهِ . . إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا
يَجْهَشُونَ بِالْبُكَاءِ ، وَيَذْرِفُونَ الدَّمْعَ ، وَيَكْثُرُ شَهيقُهُمْ وَالْخَنِينُ كُلَّمَا
سَمِعُوا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

● أَمَّا الْمَطْلَبُ الثَّلَاثُ : فَقَدْ تَحَدَّثَ فِيهِ الْبَاحِثُ عَنْ تَطَلُّعِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا ؛ لِيَمْرُضَ فِيهِ عِنْدَهَا ، وَلِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهَا ؛ فَهِيَ
الْحَبِيبَةُ الَّتِي يُوشِكُ الْمَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْهَا .

فَقَدْ تَأَقَّتْ نَفْسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ؛ لِأُنْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ، وَلِحُبِّهِ
إِيَّاهَا أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ أَزْوَاجِهِ ؛ وَلِذَلِكَ أَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَزْوَاجَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● **وَفِي الْمَطْلَبِ الرَّابِعِ :** يَذْكُرُ الْبَاحِثُ آخِرَ الْخُطْبِ النَّبَوِيِّ ،
وَقَدْ اسْتَشْعَرَ الصَّحَابَةَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْحَقِيقَةَ ، وَقَدْ
كَانُوا لَا يَضْبِرُونَ عَلَى فِرَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، فَكَيْفَ
وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ !؟

● **ثُمَّ يَرْجِعُ الْبَاحِثُ إِلَى بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ**
تَعَالَى عَنْهَا ، فَيَذْنُو أَكْثَرَ وَيَقْتَرِبُ ؛ لِيَنْقُلَ لَنَا آخِرَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ
أَنْذَاكَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَوْدَةُ الْمَطْلَبِ الْخَامِسَ مِنَ الدَّرَاسَةِ .

● **أَمَّا الْمَطْلَبُ السَّادِسُ :** فَقَدْ كَانَ لِآخِرِ الصَّلَوَاتِ النَّبَوِيَّةِ
بِالْمُسْلِمِينَ ، وَوَصِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَاةِ
خَيْرًا .

● **وَجَاءَ اخْتِصَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَطْلَبِ**
السَّابِعِ ، وَفِيهِ وَصَايَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اخْتِصَارِهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، يَغْصُ بِذِكْرِهَا الذَّاكِرُونَ ، وَيَشْهَقُ مِنْ لَوْعَتِهَا
الْمُحِبُّونَ .

● ثُمَّ يَرِدُ الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ يَهْمِسُ فِي قُلُوبِنَا آخِرَ الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ الْخَاتَمَةِ ، مِثْلَ اخْتِيَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى ، فَتَكُونُ آخِرَ مَا يُسْمَعُ مِنْ خَنِينٍ .

● وَاخْتَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، كَمَا أَفَادَتْ أَحَادِيثُ الْمَطْلَبِ التَّاسِعِ ، وَتَعَجَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّحِيلَ ، مُسْتَوْدِعًا اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ وَالْأُمَّةَ .

● وَتُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ لِبَيَانِ أَثَرِ الْوَفَاةِ عَلَى الْأَصْحَابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَكَيْفَ عَقَرُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَبِمَ خَطَبَ النَّاسَ حِينَهَا ، وَكَيْفَ كَانَتْ الرُّوَاسِي الْجِبَالُ مَوَاقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ أَهْتَزَّتِ الْأَرْضُ ، وَمَادَتْ بِالنَّاسِ أَطْرَافُهَا ، غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَوْلَئِكَ النَّاسِ .

● ثُمَّ تَحَدَّثَ الْبَاحِثُ فِي الْمَطْلَبِ الْحَادِي عَشَرَ عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَفْنِهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَدَفْنِهِ وَإِجْنَانِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَبَيَّنَ حَيَرَةَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ حَتَّى سَمِعُوا هَاتِفًا يَهْتِفُ بِهِمْ ، فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ هَتَافٍ مَضَوْا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَهُمْ

يَتَشَاوِلُونَ ، لَا يَتَعَجَّلُونَ دَفَنَهُ وَفِرَاقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَوَدُّونَ
لَوْ أَنَّهُ بَقِيَ مَعَهُمْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى غُسْلَهُمْ وَكَفَنَهُمْ
وَإِجْنَانَهُمْ .

● ثُمَّ كَانَ الْمَطْلَبُ الثَّانِي عَشَرَ فِي بُكَاءِ الصَّحَابَةِ كُلَّمَا تَذَكَّرُوا
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ .

شَكُوْتُ إِلَيَّ قَلْبِي الْفِرَاقَ فَقَالَ لِي
مِنْ أَلَانَ فَايُسِّنْ لَا أَغْرُكَ بِالصَّبْرِ

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَوَفَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَثٌ عَظِيمٌ ، لَا يَأْتِي عَلَى
فُؤَادٍ إِلَّا أَتَى عَلَيْهِ ، وَاهْتَزَّ وَوَجَلَ ، وَتَذَكَّرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَعَجَّلَ
الْدَّارَ الْآخِرَةَ حَتَّى يَلْقَى الْأَحَبَّةَ ؛ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ .

فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ
الْغَافِلُونَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ وَأَزْكَى
مَا صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَزَكَّانَا وَإِيَّاكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مَا
زَكَّى أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ .

وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا

جَزَى مُرْسَلًا عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ^(١) .

وَكْتَبَهُ

نِزَارُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّيَّانُ

فَلَسْطِينُ الْمُتَنَصِّبُ ، غَزَّةُ ، مَسْكَرُ جَبَالِيَا

شَوَّالُ (١٤١٧ هـ)

وَتَمَّتْ مُرَاجَعَتُهُ فِي رَجَبِ الْآخِرِ (١٤٢٨ هـ)

(١) هَذَا النَّصُّ قَبْسٌ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ «الرَّسَالَةُ»
(ص ١٦-١٧) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

أَوَّلًا : الْأَمَارَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَتَابَعَتِ الْأَمَارَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَنَزَلَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِيَّةِ وَاضِحَةً صَرِيحَةً تَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) تَسْمَعُهَا فِي لَيْلِ الْعَابِدِينَ
مَزَامِيرَ ، تُرَتِّلُهَا تُغَوِّرُ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ، وَتَتَرَسَّلُ بِهَا
فِي الْعَلَنِ وَالْخَلَوَاتِ ، لَكِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ لَمْ
يَكُونُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَكُونُ ؛ فَلَقَدْ جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى التَّعَلُّقِ
بِالْمَحْبُوبِ ، فَكَيْفَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !؟

لَكِنَّهُ طَالَ الزَّمَانُ بَيْنَ نُزُولِ آيَةِ بِمَكَّةَ وَوَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى لَقَدْ غَابَتْ وَنَظِيرَتَهَا عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ

(١) سُورَةُ الزُّمَرِ ، آيَةُ : (٣٠) .

تَعَالَى عَنْهُمْ ، فَلَمَّا تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . . كَانَتْهَا
تَنْزَلُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

● ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَكْثُرُ تَذْكِيرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُرْمَةِ
الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ ، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا :

١- (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ ، فَلْيُبْلَغِ
الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ
بَعْضٍ) (٢) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ (١٤٤) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةُ (١٩٤ هـ) وَوَفَاتُهُ
سَنَةُ (٢٥٦ هـ) أَلْطَبَعُهُ السُّلْطَانِيَّةُ ، إِصْدَارُ دَارِ طَوْقِ النِّجَاحِ بِإِشْرَافِ د . مُحَمَّدٍ
بْنِ زُهَيْرٍ النَّاصِرِ ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ فِي مُجَلَّدَاتٍ أَرْبَعَةٍ ، كِتَابُ الْحَجِّ ، بَابُ الْخُطْبَةِ
أَيَّامِ مِنَى (١٧٦/٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٧٣٩) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ
الْبُخَارِيِّ » .

ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١) فَأَذْرَكَ مِنْهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنَّهَا أَجَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢- فَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمًا : إِنَّ لَنَا أَبْنَاءَ مِثْلِهِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ) ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَوْمًا عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ) (٣) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : (نُعِيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ) (٤) .

(١) سُورَةُ النَّصْرِ ، آيَةُ (١) .

(٢) سُورَةُ النَّصْرِ ، آيَةُ : (١) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٩/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٤٣٠) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، انْظُرْ : « الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ » سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٢٦٠هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٣٦٠هـ) تَحْقِيقُ الشَّيْخِ حَمْدِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ =

٣- وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : « سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحَدْتُهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ : جُعِلَتْ لِي عَلَامَةً فِي أُمَّتِي ، إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا ، ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَابًا ﴾ (١) .

وَرَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : « سُبْحَانَكَ

= السَّلَفِيُّ ، خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءًا فِي عَشْرَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَبَعْضُ أَجْزَائِهِ مَفْقُودٌ (٣٢٨/١١) رَقْمُ الْحَدِيثِ (١١٩٠٣) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ » .

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٢٠٦ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٢٦١ هـ) مَطْبُوعٌ فِي خَمْسَةِ مُجَلَّدَاتٍ بِتَحْقِيقِ : مُحَمَّدٍ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي ، (مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٢٩٩ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (١٣٨٨ هـ) نَشَرُ وَتَوَزِيعُ رِئَاسَةِ إِدَارَةِ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِزْشَادِ بِالسُّعُودِيَّةِ سَنَةَ (١٩٨٠ م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٣٥٠ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٨٤) ، وَالآيَاتُ مِنْ سُورَةِ النَّصْرِ .

اَللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، اَسْتَغْفِرُكَ وَاتُوبُ اِلَيْكَ » فَقَالَ : « اِنِّيْ اُمِرْتُ بِأَمْرِ » فَقَرَأَ : ﴿ اِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ^(١) .

وَمِنْ الْأَمَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَقَعَ مِنْ مُعَارَضَةِ جِبْرِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ شَهْدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤- تَقُولُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : أَسَرَّ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي » ^(٢) .

وَمِنْ تِلْكَ الْأَمَارَاتِ مَا وَقَعَ مِنْ تَتَابُعِ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ » سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيُّ ، دَارُ الْحَرَمَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ (١٤١٦ هـ) تَحْقِيقُ طَارِقُ بْنُ عَوَظٍ اللَّهِ وَعَبْدُ الْمُحْسَنِ الْحُسَيْنِيُّ ، عَشْرَةُ مُجَلَّدَاتٍ (٨٢ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٧٣٤) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ » وَ « الْمُعْجَمُ الصَّغِيرُ » (ص ١١٥) ، دَارُ الْفِكْرِ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « الْمُعْجَمُ الصَّغِيرُ » .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٢٠٤ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٦٢٤) .

تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ (١) .

وَلِذَلِكَ بَدَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَيِّئُ أَصْحَابَهُ لِهَذِهِ اللَّحْظَاتِ الشَّدَادِ ؛ لِئَلَّا تَفْجَأَهُمُ الْوَاقِعَةُ ، وَتُصِيبَهُمُ الصَّدْمَةُ بِمَكْرُوهِه .

٦- فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا » (٢) .

فَمَا عَاشَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَّا إِحْدَى وَثَمَانِينَ لَيْلَةً .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، بَابُ كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ (١٨٢/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٩٨٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التِّرْمِذِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٢٠٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٩٧هـ) خَمْسَةُ مِجَلَّدَاتٍ ، دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتُ ، بِدُونِ تَارِيخٍ ، تَحْقِيقُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣٠٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٧٧هـ) (٣/٢٣٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٨٨٦) ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » .

وَحِينَ يَأْتِي ابْنُ جُرَيْجٍ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
 دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . . . يَقُولُ :
 « مَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِحْدَى
 وَثَمَانِينَ لَيْلَةً ^(١) .

* * *

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، الْآيَةُ (٣) وَالْخَبَرُ أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ
 الْحَجَّاجِ الْمَرْزُوقِيُّ ، وَلِدَ سَنَةَ (٢٠٢هـ) وَتُوفِيَ سَنَةَ (٢٩٤هـ) فِي كِتَابِهِ :
 « تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ » (١/٣٥٥) تَحْقِيقُ د . عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ
 الْفَرَيَوَانِيُّ ، وَتُكْسِرُ الْفَاءُ أَيْضًا ، مَكْتَبَةُ الدَّارِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ سَنَةَ
 (١٤٠٦هـ) ، جُزْأَيْنِ ، بِلَفْظِ مُقَارِبٍ . وَ« جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ »
 (١٠٦/٦) لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ ، وَلِدَ سَنَةَ (٢٢٤هـ) وَتُوفِيَ
 سَنَةَ (٣١٠هـ) تَحْقِيقُ صِدْقِي بْنِ جَمِيلٍ الْعَطَّارِ ، دَارُ الْفِكْرِ ، سَنَةَ (١٤١٥هـ)
 (٣٠) جُزْأً ، وَسَيُشَارُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : « تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ » وَاللَّفْظُ لَهُ .

ثَانِيَا : تَلَطَّفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِ أَصْحَابِهِ بِحُضُورِ أَجَلِهِ

وَيَذْنُو أَجَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقْتَرِبُ ، فَيَذْكُرُ
أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ ، وَكَانُوا كُلَّمَا سَمِعُوا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا
مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ .. أَجْهَشُوا بِالْبُكَاءِ ، وَاخْتَنَقُوا بِالْعَبْرَاتِ ،
وَسَمِعَ لَصُدُورِهِمْ أَرْيزُ كَأَرْيزِ الْمَرَاكِجِ تَغْلِي بِالْحَنِينِ وَالْأَنِينِ
وَالْحَنِينِ .

٧- فَعَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَبَهَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : « يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ
الْبَقِيعِ » فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : « لِيَهْنِ لَكُمْ مَا
أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ ، أَقْبَلَتْ أَلْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ ، يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا ، الْآخِرَةُ شَرُّ مِنَ الْأَوَّلَى ، يَا أَبَا
مُوَيْهَبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ

الْجَنَّةَ ، فَخِيرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا
وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَبَا مُؤَيْهَبَةَ ؛ لَقَدْ اخْتَرْتُ
لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ » .

ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ..
أَبْتَدَى بِوَجْعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ^(١) .

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَأَقْتِرَابُهَا

طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ مِنْ تَذْكِيرِهِمْ
وَوَصِيَّتِهِمْ بِدِينِهِمْ خَيْرًا .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ »
(١٦٢ / ٧) لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ أَلْبَيْهَقِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٣٨٤ هـ) وَوَفَاتَهُ
سَنَةَ (٤٥٨ هـ) تَحْقِيقُ د . عَبْدُ الْمُعْطِيِّ قَلْعَجِي ، دَارُ الرِّيَّانِ (١٩٨٨ م) سَبْعَةُ
مُجَلَّدَاتٍ (١٦٢ / ٧) . وَ« مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ » لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٨١ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٢٢٥ هـ) فِي أَرْبَعَةِ
مُجَلَّدَاتٍ ، دَارُ الْمُغْنِيِّ ، بِالرِّيَّاضِ ، وَدَارُ ابْنِ حَزْمٍ بِبِیْرُوتَ ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى
سَنَةَ (١٤٢١ هـ) تَحْقِيقُ : حُسَيْنُ بْنُ سَلِيمٍ أَسَدُ الدَّارَانِيِّ (٢١٥ / ١) رَقْمُ
الْحَدِيثِ (٧٩) ، وَسَيَسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ » .

٨- رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ . . خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذُ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ . . قَالَ : « يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّكَ عَسَى أَلَّا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا ، أَوْ قَبْرِي » فَبَكَى مُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ جَسَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

فَكَأَنِّي بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَطَّفُ بِإِخْبَارِهِمْ ؛ لِيُودِّعَهُمْ بِتِلْكَ الْوَصَايَا .

٩- فَقَدْ رَوَى الْعِرْبَابُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْغُيُُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ،

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٦٤هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٢٤١هـ) الْمَطْبَعَةُ الْمَنِمِيَّةُ فِي سِتَّةِ مَجْلَدَاتٍ ، بِلَا تَارِيخٍ (٢٣٥/٥) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » . وَالْجَسَعُ : الْجَزَعُ لِفِرَاقِ الْإِنْفِ ، أَنْظَرُ : « لِسَانُ الْعَرَبِ » لِلْإِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمِ بْنِ مَنْظُورِ الْإِفْرِيْقِيِّ الْمِصْرِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٦٣٠هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٧١١هـ) الْمَطْبَعَةُ الْأُولَى سَنَةَ (٢٠٠٠م) دَارُ صَادِرِ بَيْرُوتَ (١٥١/٣) .

فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ
إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ،
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي ..
فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ
الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ » (١) .

إِذَا فَقَدْ أَدْرَكُوا رِضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ عِظَمَ النِّكْمَةِ الْفَادِحَةِ ،
إِنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ ، وَإِنَّهُ أَجَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوحِي بِهِ
إِلَيْهِمْ ، وَيُهَوِّنُهُ عَلَيْهِمْ ، عَلِمُوا ذَلِكَ مِنْ طَرِيقَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي الْوَصِيَّةِ إِلَيْهِمْ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْبَلِيغَةِ لَهُمْ ؛ وَلِذَا كَانَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَى لِقَائِهِ ، وَكَثْرَةِ
مُجَالَسَتِهِ ، كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ :

(١) إِشَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيُّ ،
مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٢٠٢هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٧٥هـ) (٤/٢٠٠) رَقْمُ الْحَدِيثِ
(٤٦٠٧) ، كِتَابُ السُّنَّةِ ، بَابُ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ ، تَحْقِيقُ : مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ
الْحَمِيدِ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣١٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٩٢هـ) طُبِعَ بِدَارِ إِحْيَاءِ
السُّنَنِ اللَّيْثِيَّةِ ، أَرْبَعَةُ مَجَلَّدَاتٍ ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » .

١٠- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ ؛ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي ، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ » (١) .

قَالَ النَّوَوِيُّ مُعَقِّبًا : (مَقْصُودُ الْحَدِيثِ : حَثُّهُمْ عَلَى مُلَازِمَةِ مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٢) .

وَيَرْوِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا آخَرَ يُبَيِّنُ فِيهِ طَرِيقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَهْيِئَةِ أَصْحَابِهِ لِخَبَرِ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ :

١١- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : « عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَأَخْتَارَ مَا عِنْدَهُ » .

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى فَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ :

(١) « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » كِتَابُ الْفَضَائِلِ ، بَابُ فَضْلِ النَّظَرِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٨٣٦/٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٣٦٤) .

(٢) الْمُنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، لِأَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ شَرَفِ الدِّينِ النَّوَوِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٦٣١ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٦٧٦ هـ) (مَطْبُوعٌ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ جُزْءًا فِي تِسْعَةِ مُجَلَّدَاتٍ بِدُونِ تَحْقِيقِ بَدَارِ الْفِكْرِ ، بَيْرُوتَ سَنَةِ : (١٩٧٨ م) ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « الْمُنْهَاجُ لِلنَّوَوِيِّ » (١٨٨/١٥) .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ^(١) ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ
أَعْلَمَنَا بِهِ^(٢) ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : (وَكَانَ أَبَا بَكْرٍ فِيهِمُ الرَّمْزُ الَّذِي أَشَارَ بِهِ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرِينَةِ ذِكْرِهِ لِذَلِكَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ،
فَاسْتَشْعَرَ مِنْهُ أَنَّهُ أَرَادَ نَفْسَهُ ؛ فَلِذَلِكَ بَكَى)^(٣) .

ثُمَّ يَخْرُجُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزِيَارَةِ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ فِي
أَحَدٍ كَأَنَّهُ يُودِّعُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ .

١٢- فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : صَلَّى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أَحَدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ
كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : « إِنِّي بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي

(١) رَوَايَةُ مُسْلِمٍ « الْمُخَيَّرُ » بِالرَّفْعِ ، وَرَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ بِالنَّصْبِ .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (١٨٥٤ / ٤) رَفَعُ الْحَدِيثِ (٢٣٨٢) .

(٣) فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، لِلْحَافِظِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَجَرٍ
الْعَسْقَلَانِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٧٧٣ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٨٥٢ هـ) الطَّبَعَةُ السَّلَفِيَّةُ ،
تَحْقِيقُ الشَّيْخِ : عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣٣٠ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ
(١٤٢٠ هـ) فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ مُجَلَّدًا (١٢ / ٧) وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « فَتْحُ
الْبَارِي » .

لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ،
وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا .

قَالَ : فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ^(١) .

ثُمَّ يَدْخُلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَزْوَاجِهِ وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ
أَعْرَاضُ الشَّكْوَى مِنْ مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ .

١٣- فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ :
(أَوَّلُ مَا أَشْتُكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ،
فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ)^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ أوردَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا
نَحْوَهُ^(٣) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ
عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران : ١٢١] (٩٤ / ٥)
رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٠٤٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٤٣٨ / ٦) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ
مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ (٣١٢ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤١٨)
الْمُتَابَعَةُ رَقْمُ : (٩١) .

وَيُبَيِّنُ الْحَدِيثُ الْآتِي كَيْفَ أُشْتُدَّ الْمَرَضُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَكَيْفَ حَاوَلَ نِسَاؤُهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنْ يُمَرِّضْنَهُ ، أَوْ يُخَفِّنَ عَنْهُ شِدَّةَ الْمَرَضِ .

١٤- تقولُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : فَاشْتُدَّ مَرَضُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَتَشَاوَرَ نِسَاؤُهُ فِي لَدِّهِ فَلَدَّوْهُ^(١) .

فَلَمَّا أَفَاقَ . . قَالَ : « هَذَا فِعْلُ نِسَاءٍ جِئْنَ مِنْ هَؤُلَاءِ » وَأَشَارَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ فِيهِنَّ^(٢) ، قَالُوا :

(١) اللُّدُّ وَاللَّدُّ : مَا يُسْقَاهُ الْمَرِيضُ فِي أَحَدِ شِقْيِ الْفَمِ ، أَنْظَرِ : « النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْآثَرِ » لِابْنِ الْأَثِيرِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزْرِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (٥٤٤هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٦٠٦هـ) خَمْسَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، حَقَّقَهُ : طَاهِرُ أَحْمَدَ الزَّوَاوِي ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (١٣٠٨هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤٠٦هـ) بِطَرَابُلُسِ الْغَرْبِ ، وَمَحْمُودُ مُحَمَّدٍ الطَّنَاحِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (١٣٥٣هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤١٩هـ) طُبِعَ بِالْمَكْتَبَةِ الْعِلْمِيَّةِ بَبْرُوتَ بِدُونِ تَارِيخِ (٢٤٥/٤) وَسَيُسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « النِّهَايَةُ فِي الْغَرِيبِ » .

(٢) هَاجَرَتْ الْهَجْرَتَيْنِ ، أَنْظَرُ تَرْجَمَتَهَا فِي « أَسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ » لِعِزِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزْرِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (٥٥٥هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٦٣٠هـ) سِتَّةَ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبَعَتْهُ دَارُ الْفِكْرِ بِبَبْرُوتَ سَنَةَ (١٩٨٩م) ، وَسَيُسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « أَسْدُ الْغَايَةِ » (١٤/٦) .

كُنَّا نَتَّهِمُ بِكَ ذَاتَ الْجَنْبِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقْذِفَنِي بِهِ ، لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَلْتَدَّ » (١) .

وَأُورِدَ الْبُخَارِيُّ الْحَبْرَ بِرَوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

١٥- قَالَتْ : لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا : أَلَّا تَلُدُونِي ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةٌ (٢) الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ تَلُدُونِي ؟ ! » قُلْنَا : كَرَاهِيَةٌ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَّا أَلْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ » (٣) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ » لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ الصَّنَعَانِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (١٢٦ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ : (٢١١ هـ) حَقَّقَهُ : حَبِيبُ الرَّحْمَنِ الْأَعْظَمِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (١٣١٩ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ : (١٤١٢ هـ) طُبِعَ بِسُورَتِ ، الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ ، سَنَةَ : (١٩٧٢ م) ، فِي أَحَدِ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، وَسَيُشَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ » (٤٢٨ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

(٢) بِالنَّصْبِ فِي نُسَخَةِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ عَنْ شُيُوخِهِ الثَّلَاثَةِ ، وَبِالرَّفْعِ فِي سَائِرِ النُّسخ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الطَّبِّ ، بَابُ الدُّودِ ، (١٢٧ / ٧) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٥٧١٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٤٧ / ٨) : (قِيلَ : فِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ الْفِصَاصِ فِي جَمِيعِ مَا يُصَابُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَمْدًا ، وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ لَمْ يَتَعَاطَوْا =

وَتَرَوِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا شَكْوَى أُخْرَى
بَدَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ جَنَازَةِ بَعْضِ
أَصْحَابِهِ .

١٦- تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : رَجَعَ إِلَيَّ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا
أَجِدُ صُدَاعًا ، وَأَنَا أَقُولُ : وَارَأْسَاهُ ، قَالَ : « بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ
وَارَأْسَاهُ » قَالَ : « وَمَا ضَرَّكَ لَوْ مِتُّ قَبْلِي فَغَسَلْتَنِي وَكَفَّنْتَنِي ،
وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَدَفَنْتَنِي ؟ » فَقُلْتُ : لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ
ذَلِكَ . . لَرَجَعْتَ إِلَيَّ بَيْتِي ، فَعَرَّسْتَ فِيهِ بَعْضَ نِسَائِكَ ، قَالَتْ :
فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بُدِيَءَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي
مَاتَ فِيهِ (١) .

= ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُمْ ؛ لِتَرْكِهِمْ أَمْتِيَالَ نَهْيِهِ عَنْ ذَلِكَ) .
(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ » (٢١٧ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٨١) ،
وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْقَزْوِينِيُّ مَوْلَدُهُ سَنَةَ : (٢٠٩ هـ)
وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (٢٧٣ هـ) حَقَّقَهُ : مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدِ الْبَاقِي ، طَبَعَهُ عَيْسَى الْبَابِيُّ
الْحَلَبِيُّ ، غَيْرَ مُؤَرِّخٍ ، نَحْوَ حَدِيثِ الدَّارِمِيِّ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
غَسْلِ الرَّجُلِ أَمْرَاتُهُ وَغَسْلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا (١ / ٤٧٠) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(١٤٦٥) ، وَسَيَسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « سُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ » ، وَمِنْ طَرِيقَيْهِ عَنْهُ ابْنُ
إِسْحَاقَ ، وَقَدْ صَرَحَ بِالسَّمَاعِ فِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ ؛ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ =

أَمَّا مَرَضُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِدَّتُهُ . . فَإِلَيْكَ حَدِيثُ عَائِشَةَ
وَأَبِي سَعِيدٍ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا .

١٧- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ
عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١) .

أَمَّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . . فَقَدْ بَيَّنَ بَعْضُ مَا
كَانَ يُعَانِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آلامٍ .

١٨- قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ
حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللَّحَافِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَا أَشَدَّهَا
عَلَيْكَ ! قَالَ : « إِنَّا كَذَلِكَ ؛ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ » (٢) .

= الْمُنَنَّى التَّمِيمِي ، مَوْلَدُهُ سَنَةٌ : (٢١٠ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةٌ : (٣٠٧ هـ) حَقَّقَهُ :
حُسَيْنُ بْنُ سَلِيمٍ أَسَدُ الدَّارَانِي ، طَبَعَهَا دَارُ الْمَأْمُونِ لِلتُّرَاثِ ، دِمَشْقُ ، بِتَارِيخِ :
(١٤٠٤ هـ) ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : (حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ) (٢٢٣ / ٨) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٤٥٧٩) ، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ بِالْفَافِ مُقَارِيَةٌ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
(١١٩ / ٧) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٥٦٦٦) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَرَضَى ، بَابُ شِدَّةِ الْمَرَضِ (١١٥ / ٧) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٥٦٤٦) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، « سُنُّنُ أَبِي مَاجَةَ » (١٣٣٤ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٠٢٤) .

١٩- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (أَتَيْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا
شَدِيدًا)^(١) .

وَيَزِدَادُ الْمَرَضُ عَلَى حَبِيبِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَثْقُلُ ،
وَيَتَطَلَّعُ إِلَى يَوْمِهِ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَيَسْأَلُ عَنْهُ ، كَمَا
تُفِيدُ الْأَحَادِيثُ فِي الْمَطْلَبِ الْآتِي .

* * *

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَرَضَى ، بَابُ شِدَّةِ الْمَرَضِ (١١٥ / ٧) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٥٦٤٧) .

ثَالِثًا : تَمْرِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ
أَزْوَاجِهِ وَتَطْلُعُهُ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

٢٠- تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ :
« أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ » يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ
شَاءَ ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا حَتَّى مَاتَ
عِنْدَهَا (١) .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ : بَيَانُ الطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا نِسَاءَهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ فِي مَرَضِهِ
فَاجْتَمَعْنَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ (١٣/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

بَيْنَكُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَكُونُ عِنْدَ عَائِشَةَ . . فَعَلْتُمْ » فَأَذِنَ لَهُ (١) .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي ، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَيَبْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي ، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) .

وَتَصِفُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي صُورَةِ مُؤَلِّمَةِ حَزِينَةٍ كَيْفَ نُقِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِ مَيْمُونَةَ إِلَى بَيْتِهَا فَتَقُولُ :

٢١- (لَمَّا نُقِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ . . اسْتَأْذَنَ أَرْوَاجُهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخْطُرُ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ) (٣) .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » كِتَابُ النِّكَاحِ ، بَابُ فِي الْقَسَمِ بَيْنَ النِّسَاءِ (٢٤٣ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢١٣٧) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (١٣ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْوُضُوءِ ، بَابُ الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ فِي الْمِخْضَبِ وَالْقَدَحِ وَالْخَسْبِ وَالْحِجَارَةِ (٥٠ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٩٨) .

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ : (أَوَّلُ مَا أَشْتَكِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتٍ مَيْمُونَةٍ ، فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرَضَ فِي بَيْتِهَا ، وَأَذِنَ لَهُ ، قَالَتْ : فَخَرَجَ وَيَدُّ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَيَدُّ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ وَهُوَ يَخْطُ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ) (١) .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : (لِأَنَّ الْمَرِيضَ يَجِدُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ الْأَنْسِ مَا لَا يَجِدُ عِنْدَ بَعْضٍ) (٢) .

فَبَيْنَ الْحَدِيثِ تَعَبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى لَا يَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ بَيْنَ بَيْتَيْهِ وَأَزْوَاجِهِ .

وَبَدَأَ أَزْوَاجُهُ فِي تَمْْرِضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُطَبِّبْنَهُ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَهُمْ مُشْفِقُونَ مِنْ لَظَى الْفِرَاقِ الْحَمِيمِ .

وَكَانَ مِنْ دَابِئِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ أَنْ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَيَرْقِيَهَا ، وَيَمْسَحَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا بَيَّنَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ :

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ (٣١١/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤١٨) .

(٢) فَتْحُ الْبَارِي (٢٥٦/٣) .

٢٢- (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ . . كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا) (١) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى . . يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ وَيَنْفُثُ) (٢) فِي كُلِّ مَرَضٍ وَشَكْوَى .

فَكَانَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَقْوَى حَتَّى عَلَى الْقِرَاءَةِ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ حِينَئِذٍ .

وَفِي تَمْرِضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَوِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا الْخَبَرَ الْآتِي كَمَا يَزُوِيهِ عَنْهَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ :

٢٣- وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَشْتَدَّ وَجَعُهُ : « هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْكِتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ » .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الطَّبِّ ، بَابُ الرُّقَى بِالْقُرْآنِ (١٣١ / ٧) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٥٧٣٥) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، بَابُ فَضْلِ الْمُعَوَّذَاتِ (١٩٠ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٥٠١٦) .

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ
زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ
الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ : أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ .

قَالَتْ : ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ
وَحَاطَبَهُمْ^(١) .

فَمَاذَا كَانَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْغَالِيَاتِ الَّتِي
يَرْتَقِي فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعَزَّ مِنْبَرٍ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ الْخَاتِمَةِ ؟

* * *

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الطَّبِّ ، بَابُ اللَّدُّودِ (١٢٧/٧) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(٥٧١٤) .

وَالْوُكَاةُ : الْخَيْطُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الصُّرَّةُ وَالْكِيسُ وَالْأَسْقِيَّةُ وَنَحْوُهَا ، عَنِ
«اللسان» بِتَصْرُوفٍ ، أَنْظَرُ : مَادَّةٌ : (وَكَي) . قَالَ الْبَاحُثُ : وَالْمَقْصُودُ بِهِ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ : سَنَعُ قَرَبٍ مَلَانَةٍ ، مَحْفُوظَةٍ بِأَوْكِيَّتِهِنَّ لَمْ تُسْتَعْمَلْ ، وَوَجْهُهُ
ذَلِكَ : أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ كَثِيرًا نَظِيفًا ؛ رَجَاءً أَنْ يُطْفِئَ مَا بِهِ مِنْ حُمَى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي .

رَابِعًا : آخِرُ الْخُطْبِ النَّبَوِيَّةِ

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

٢٤- خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَبَ بِعَصَابَةٍ دَسْمَاءَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ . . فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ » .

فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

٢٥- وَيَزُوي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حَدِيثًا فِيهِ جُزْءٌ مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ذَاكَ ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : خُطِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ :

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ

(٢٠٤/٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦٢٨) .

« إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَأَخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ » قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ! فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَعْلَمَنَا .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ : « إِنَّ أَمَرَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي . . . لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (١) .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي صَبِّ الْقُرْبِ السَّبْعِ : (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِي مَرَضِهِ . . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَالَ فِيهِ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا . . . لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ ») (٢) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ وَأَنْتَ تَبْكِي صَاحِبَكَ يَوْمَ وَضَعَ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« سُدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (٤ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦٥٤) .

(٢) فَتْحُ الْبَارِي : (١٤٢ / ٨) .

أَبْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ثَوْبُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَتَبْكِيهِ يَوْمَ الْغَارِ ، وَتَلْتَزِمُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَتَوَازَرُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتُرَافِقُهُ
فِي الْخَنْدَقِ ، وَتُصَاحِبُهُ فِي تَبُوكِ ، وَتَمْضِي مَعَهُ فِي كُلِّ مُهِمَّةٍ
وَمُلِمَّةٍ .

كَيْفَ لَا يَبْكِيهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ أُنْقَطَعَ عَنْهُ خَبَرُ
السَّمَاءِ ؟ ! بَلْ كَيْفَ لَا تَبْكِيهِ أَلْعُيُونُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ؟ !

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ بِالْيَمِينِ وَدَعَنِي
يَوْمَ الْفِرَاقِ وَدَمَعُ الْعَيْنِ سَاكِبَةً
وَهَلْ فِرَاقٌ كَفِرَاقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ !

* * *

خَامِسًا : آخِرُ الْأَيَّامِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

ثُمَّ يَعُودُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَيُحَدِّثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهُ يَجِدُ سَمَّ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ .

٢٦- تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : « يَا عَائِشَةُ ؛ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ أَنْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ » (١) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، أَنْظَرُ : « الْمُسْتَذْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ » لِلْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ النَّيْسَابُورِيِّ، مَوْلَدُهُ سَنَةٌ : (٣٢١ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةٌ : (٤٠٥ هـ) دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، خَمْسَةُ مُجَلَّدَاتٍ، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَى عَبْدِ الْفَائِدِ عَطَا، الطَّبَعَةُ الْأُولَى سَنَةٌ : (١٤١١ هـ)، وَسَيِّسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْتَذْرَكُ الْحَاكِمِ » (٦٠ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٣٩٣) . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » مُعَلَّقًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، كِتَابُ الدِّيَاتِ ، بَابُ فِيمَنْ سَقَى رَجُلًا سَمًا أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَتِقَادُ مِنْهُ ؛ رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٥١٢) .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَعَاشَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى كَانَ وَجَعُهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ وَجَعَلْ يَقُولُ : « مَا زِلْتُ أَجِدُ أَلَمَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُهَا بِخَيْرِ عِدَادًا حَتَّى كَانَ هَذَا أَوْ أَنْ أَنْقِطَعَ أَبْهَرِي » عِزُّ فِي الظَّهْرِ .

وَتُوفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا ، كَمَا أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ :

٢٧- (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا ، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا)^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢٨- ثُمَّ تَدْخُلُ أُمُّ مُبَشَّرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَتَقُولُ : يَا أَبَايَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ ؟ فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلْتُ مَعَكَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « وَأَنَا لَا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ ، هَذَا أَوْ أَنْ قَطَعَ أَبْهَرِي »^(٢) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى » لِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الْوَاقِدِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةٌ : (١٦٨ هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةٌ : (٢٣٠ هـ) ثَمَانِيَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبَعَتْهُ دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبِירוْت سَنَةٌ : (١٩٧٥ م) ، وَحَقَّقَهُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا ، وَسَيَّسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ » (١٥٥ / ٢) وَ « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٣٣١ / ١) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » كِتَابُ الدِّيَّاتِ ، =

وَيَسْتَدُ الْوَجْعُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَرَوِي عَائِشَةُ
وَأَبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

٢٩- قَالَا : (لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . طَفِقَ
يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا أَغْتَمَّ . . كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ)^(١) .
وَتَدْخُلُ الْحَبِيبَةُ الْغَالِيَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَكْثَرَ
الْخَلْقِ مُصَابَا بِالنَّبِيِّ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَقُولُ عَائِشَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

٣٠- (دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ، فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ
دَعَاهَا فَسَارَهَا فَضَحِكَتْ ، قَالَتْ : فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : سَارَنِي
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبِضُ فِي وَجْعِهِ الَّذِي تُؤْفِي فِيهِ
فَبَكَيتُ ، ثُمَّ سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ)^(٢) .

= بَابُ فِيمَنْ سَقَى رَجُلًا سُمًّا أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ يُقَادُّ مِنْهُ (١٧٥ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(٤٥١٣) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ (٩٥ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٣٥)
و (٤٣٦) بِلَفْظِهِمَا .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ (٢٠٤ / ٤) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٣٦٢٤) .

وَتَضَحَّكَ فَاطِمَةُ حِينَ تُدْرِكُ أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ ، تَضَحَّكَ
لِتُعَلِّمَنَا أَنَّ الْمَوْتَ أَحْلَى مِنْ الْحَيَاةِ بِلاَ صُحْبَةِ الرِّسَالَةِ وَالرَّسُولِ .

٣١- وَيَصِفُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيَّامَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَخِيرَةَ فِي خُرُوجِهِ لِلصَّلَاةِ فَيَقُولُ : (خَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مُتَوَكِّئًا
عَلَى أُسَامَةَ ، مُرْتَدِيًا ثَوْبَ قُطْنٍ قَدْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ ، فَصَلَّى
بِالنَّاسِ)^(١) .

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢٣٩ / ٣) .

سَادِسًا : آخِرُ الصَّلَوَاتِ وَالْوَصِيَّةُ بِالصَّلَاةِ

وَيَخْرُجُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاتَهُ
الْأَخِيرَةَ ، إِنَّهَا آخِرُ صَلَاةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُسْلِمِينَ ،
وَآخِرُ آيَاتٍ تُتْلَى بِصَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا تَرَوِيهَا أُمُّ
الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ .

٣٢- قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِـ « الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » ، ثُمَّ مَا صَلَّى
لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ) (١) .

كَانَتْ تِلْكَ صَلَاتُهُ الْأَخِيرَةَ بِالْمُسْلِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ وَصَفُ حَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، قَالَتْ : (خَرَجَ إِلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسَهُ فِي مَرَضِهِ ،

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ (٩ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٢٩) .

فَصَلَّى الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِـ « الْمُرْسَلَاتِ » فَمَا صَلَّاهَا بَعْدُ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ (١) .

وَيُثْقَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَهُمُّهُ أَمْرُ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ .

٣٣- قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقُلْتُ : أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » .

قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ » .

قَالَتْ : فَفَعَلْنَا ، فَأَغْتَسَلَ ، فَذَهَبَ لِيَنْوِيَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
أَفَاقَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » .

قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « ضَعُوا لِي مَاءً
فِي الْمِخْضَبِ » .

قَالَتْ : فَقَعَدَ فَأَغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْوِيَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ
فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
الْفِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ (١١٢ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٠٨) .

قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» .

فَقَعَدَ فَأَغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَتَوَّءَ فَأَغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » .

فَقُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا : يَا عُمَرُ ؛ صَلِّ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ ^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَ بِهِ (١/١٣٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٧) .

فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ؛ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ . . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَعَادَ ، فَأَعَادُوا لَهُ ، فَأَعَادَ الثَّلَاثَةَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكُمْ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى^(١) .

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ بَيَانُ الْقَائِلِ الْمُبْهَمِ :

٣٤- مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ : « مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ . . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ^(٢) .

٣٥- وَيَرْوِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْضَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ : (إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ . . فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ (١٣٨/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٧) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ : الرَّجُلُ يَأْتِمُ بِالْإِمَامِ وَيَأْتِمُ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ (١٤٤/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٧١٣) .

إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَانَ وَجْهَهُ وَرَقَّةٌ مُصْحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنْ الْفَرَحِ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ^(١) (فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَضْطَرِبُوا)^(٢) ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ، وَأَرْخَى السُّتْرَ)^(٣) .

٣٦- وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ : كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوءَةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ ، أَلَا

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ : أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ (١٣٦/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٠) ، وَمُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٤٣٣/٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

(٢) الزِّيَادَةُ صَحِيحَةٌ مِنْ كِتَابِ « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » لِلتِّرْمِذِيِّ ، (ص ٣٢٧) طَبَعَتْهُ مَوْسَسَةُ الْكُتُبِ الثَّقَافِيَّةِ بِيَرُوتَ ، تَحْقِيقُ : سَيِّدِ عَبَّاسِ الْجَلِيمِيِّ ، وَسَيَّسَارُ لَهُ حَيْثُ يَرُدُّ : « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٨٦) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ : أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ (١٣٦/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٠) ، وَمُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٤٣٣/٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٧٥٤) .

وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ .
فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا السُّجُودُ . فَأَجْتَهِدُوا فِي
الدُّعَاءِ ، فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» (١) .

٣٧- وَتَحَدَّثَنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا عَنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْفِتْرَةَ فَقُولُ : (وَالَّذِي ذَهَبَ بِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مَا تَرَكَهُمَا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ ، وَمَا لَقِيَ اللَّهَ
تَعَالَى حَتَّى ثَقُلَ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا مِنْ صَلَاتِهِ قَاعِدًا ؛
تَغْنِي : الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّيهِمَا ، وَلَا يُصَلِّيهِمَا فِي الْمَسْجِدِ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُثْقَلَ عَلَى أُمَّتِهِ ،
وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ) (٢) .

وَيَبَيَّنَتْ رِوَايَةُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ صَلَّى خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ جَالِسًا .

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ نَفْسِهِ خَفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رَجُلَيْهِ

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ (٣٤٨/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٧٩) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا يُصَلَّى بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ
الْفَوَائِتِ وَنَحْوِهَا (١٢١/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٥٩٠) .

تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ) ^(١) (فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ النَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو
بَكْرٍ . . اسْتَأْخَرَ) ^(٢) (فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ
مَكَانَكَ .

ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ) ^(٣) (حِذَاءَ أَبِي بَكْرٍ) .
(فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ) ^(٤) .

* * *

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ
(١٣٣/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٤) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ مَنْ قَامَ إِلَى جَنْبِ الْإِمَامِ لِعَلَّةِ
(١٣٧/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٣) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ
(١٣٣/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٤) .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ مَنْ قَامَ إِلَى جَنْبِ الْإِمَامِ لِعَلَّةِ
(١٣٧/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٨٣) .

سابعًا : اخْتِضَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ

أَذْرَكَ الصَّحَابَةُ أَنَّهَا أَحْرُ اللَّحْظَاتِ وَآخِرُهَا ، فَهَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُكَلِّمُ عَلِيًّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْشَكَ عَلَى الْوَفَاةِ .

٣٨- رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوَفِّي فِيهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا أَبَا حَسَنِ ؛ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِتًا ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرٍ أَلْعَصَا^(١) ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١٤٣/٨) : (كِتَابَةُ عَمَّنْ يَصِيرُ تَابِعًا لِغَيْرِهِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ يَمُوتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثِ ، وَتَصِيرُ أَنْتَ مَأْمُورًا عَلَيْكَ ، وَهَذَا مِنْ قُوَّةِ فِرَاسَةِ الْعَبَّاسِ) .

قَالَ الْبَاحِثُ : وَمَا خَفِيَ الْأَمْرُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، لَكِنَّهُ التَّلَعُّقُ =

يُتَوَقَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا ، إِنِّي لَأَعْرِفُ وَجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، أَذْهَبَ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنَسْأَلُهُ : فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ ؟ إِنْ كَانَ فِينَا . . عَلِمْنَا ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا . . عَلِمْنَاهُ ، فَأَوْصِي بِنَا ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إِنَّا وَاللَّهِ لَنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْعَنَا . . لَا يُعْطِيهَا النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

وَيَدْخُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَقُلَ حَتَّى لَا يَقْوَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكَلَامِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا :

٣٩- (دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَمَعَهُ سِوَاكَ يَسْتَنْئِي بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطِنِي هَذَا السَّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَأَعْطَانِيهِ ،

= بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالرَّجَاءُ فِي بَقَائِهِ بَيْنَهُمْ ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِتًا .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٢/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٤٧) .

فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ مَضَعْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى صَدْرِي (١) .

وَتَبَيَّنَ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى كَيْفَ كَانَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ آنَذَاكَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَيْتُهُ
يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ ، فَقُلْتُ : آخِذْهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ
بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أَلَيْسَ لَكَ ؟
فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَلَيْتَنِي (٢) .

فَظَهَرَ النَّزْعُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَكْتُبَ لِلصَّحَابَةِ كِتَابًا لَا يَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا .

٤٠- قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : لَمَّا حُضِرَ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٣/٦) رَفَعُ
الْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٣/٦) رَفَعُ
الْحَدِيثِ : (٤٤٤٩) .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ » .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، فَأَخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَأَخْتَصَمُوا ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْاِخْتِلَافَ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُومُوا » ^(١) .

وَوَقَعَتْ قِصَّةُ الْكِتَابِ يَوْمَ الْخَمِيسِ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، كَمَا أَفَادَتْ رِوَايَةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟! أَشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ : « أَتُتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا » ^(٢) .

٤١- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاةِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ ﴾ [الزمر : ٣٠] (٩/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٣٢) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ : هَلْ يُسْتَشْفَعُ إِلَى أَهْلِ الدِّمَةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ (٦٩/٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٠٥٣) .

يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ ، فَقَالَ :
أَشْتَدُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ،
فَقَالَ : « أَتُؤْنِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا » .

فَتَنَازَعُوا ، وَلَا يَتَّبِعِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازَعُ ، فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « دَعُونِي ، فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا
تَدْعُونِي إِلَيْهِ » .

وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ : « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ » وَنَسِيتُ
الثَّالِثَةَ (١) .

٤٢- وَرَوَى طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي
أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَوْصَى ؟

فَقَالَ : لَا .

فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ ؟ أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ ؟

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ : هَلْ يُسْتَفْعَى إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ
وَمُعَامَلَتِهِمْ (٦٩ / ٤) رَفُعُ الْحَدِيثِ : (٣٠٥٣) .

قَالَ : أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ^(١) .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تَرَى رَأْيَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ
يَكُنْ أَوْصَى بِشَيْءٍ خَاصٍّ .

٤٣- عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ وَصِيًّا ، فَقَالَتْ :
(مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي ، أَوْ قَالَتْ :
حَجْرِي ؟ ! فَدَعَا بِالطُّسْتِ ، فَلَقَدْ أَنْخَنَتْ^(٢) فِي حَجْرِي فَمَا شَعَرْتُ
أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ ؟ !)^(٣) .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ
الصُّعَابِ يُعَانِي التَّرْعَ الشَّدِيدَ ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْوَصَايَا ، بَابُ الْوَصَايَا وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « وَصِيَّةُ الرَّجُلِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » (٣ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٧٤٠) .

(٢) أَنْخَنَتْ : اُنْكَسَرَ وَأَنْثَنَى ؛ لِاسْتِرْخَاءِ أَعْضَائِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، أَنْظَرُ : « النِّهَائَةُ فِي
الْغَرِيبِ » (١٥٨ / ٢) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْوَصَايَا ، بَابُ الْوَصَايَا وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « وَصِيَّةُ الرَّجُلِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » (٣ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٧٤١) .

٤٤- عَنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَا : لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا أَغْتَمَ . . كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، وَهُوَ كَذَلِكَ يَقُولُ : « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا (١) .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (لَوْلَا ذَلِكَ . . لَا بُرَزَ قَبْرُهُ ؛ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) (٢) .

وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَدْ عَقَدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَاءَ غَزْوِ الشَّامِ ، فَلَمَّا وُعِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . تَرَيَتْ أُسَامَةُ بِالْجَيْشِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، يَقُولُ أُسَامَةُ :

٤٥- (لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١١/٦) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٤٤٤٣) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١١/٦) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٤٤٤١) .

أُصِمَّتْ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي (١) .

٤٦- وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ : « الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِضُ بِهَا لِسَانَهُ (٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَامَّةٌ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوُفَاةُ وَهُوَ يُغْرِغُ بِنَفْسِهِ : « الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » (٣) .

٤٧- وَيَرْوِي ذُكْوَانُ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعًا ، أَوْ عُلبَةً فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ، بَابُ مَنَاقِبِ أَسَامَةِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦٧٧ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٨١٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (١١٧ / ٣) وَرَوَاهُ أَبُو مَاجَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ ، كِتَابُ مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥١٩ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٦٢٥) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي مَاجَةَ » كِتَابُ الْوَصَايَا ، بَابُ : هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٩٠٠ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٦٩٧) .

وَجْهَهُ وَيَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ » ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » حَتَّى قُبِضَ ، وَمَالَتْ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ أُمَّتُهُ : مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ :

٤٨- لَمَّا حَضَرَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاةُ.. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنَا ، قَالَ : « أُوصِيكُمْ بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَبِأَبْنَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ.. لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ »^(٢) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ (١٠٧/٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٥١٠) ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ مُعَقَّبًا : (الْعُلْبَةُ : مِنَ الْخَشَبِ ، وَالرَّكُوعَةُ : مِنَ الْأَدَمِ) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ الْبَزَّازِ » شَهْرَتُهُ فِي الْمَطْبُوعِ : « الْبَحْرُ الزَّخَارُ » لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيِّ الْبَزَّازِ ، مَوْلَدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢١٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٢٩٢هـ) تِسْعَةُ مَجْلَدَاتٍ ، مَكْتَبَةُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ ، الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ ، سَنَةَ (١٤٠٩هـ) بِتَحْقِيقِ د. مَحْفُوظِ الرَّحْمَنِ زَيْنِ اللَّهِ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣٦٩هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ : (١٤١٨هـ) وَسَيَّسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُسْنَدُ الْبَزَّازِ » : (٢٣٣/٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٠٢٢) ، وَ« الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ » (٢٦٨/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٨٧٤) .

٤٩- وَتَرَوِي أُمَّ سَلَمَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : عُدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً بَعْدَ غَدَاةٍ ، يَقُولُ : « جَاءَ عَلِيٌّ ؟ » مِرَارًا .

قَالَتْ : وَأَظْنُهُ كَانَ بَعَثَهُ فِي حَاجَةٍ ، قَالَتْ : فَجَاءَ بَعْدُ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةً ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَعَدْنَا عِنْدَ الْبَابِ ، فَكُنْتُ مِنْ أَدْنَاهُمْ إِلَى الْبَابِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَجَعَلَ يُسَارُّهُ وَيُنَاجِيهِ ، ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا^(١) .

وَمَعَ اشْتِدَادِ الْمَرَضِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَكَى فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، كَمَا يَزُوي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

٥٠- قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٣٠٠/٦) ، وَ « مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ » لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، مَوْلَدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (١٥٩هـ) وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٢٣٥هـ) ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ شَاهِينَ ، تِسْعَةُ مَجْلَدَاتٍ مَعَ فَهَارِسِهِ ، طَبَعُ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِيَرُوتَ (١٩٩٥م) (٣٦٨/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٢٠٥٧) ، وَسَيُسَارُّ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ » .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ : وَكَرَبَ
أَبَاهُ! فَقَالَ لَهَا : « لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ » (١) .

وَتَحَارُّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، فَتَأْتِي النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينَةً لِمَرَضِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ نَزْعٍ وَقَدْ جَزَعَتْ
لِفِرَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا يَرَوِي ذُوَيْبُ بْنُ حُلْحَلَةَ الْخُزَاعِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢) .

٥١- قَالَ : لَمَّا حُضِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ صَفِيَّةُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ : لِكُلِّ أَمْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ أَهْلٌ يُلْجَأُ إِلَيْهِمْ وَإِنَّكَ أَجَلَيْتَ
أَهْلِي ، فَإِنْ حَدَّثَ حَدَّثُ . . فَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ : « إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ » (٣) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

* * *

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (١٥ / ٦) كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَبُتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] رَفُعُ
الْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

(٢) ذُوَيْبُ بْنُ حُلْحَلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كُتَيْبٍ الْخُزَاعِيُّ الْكُفَيْيُّ الصَّحَابِيُّ ، أَنْظَرُ :
« الْإِصَابَةُ » (٤٢٢ / ٢) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « الْمُنْعَجَمُ الْكَبِيرُ » (٢٣٠ / ٤) رَفُعُ الْحَدِيثِ :
(٤٢١٤) .

ثَامِنًا : آخِرُ الْهَمَسَاتِ النَّبَوِيَّةِ

هِيَ آخِرُ الْكَلِمَاتِ وَتَنْقَطِعُ السَّمَاءُ عَنِ الْأَرْضِ ، وَتَمْضِي
الْخَلَائِقُ وَحَدَهَا تَوَاجِهَ الْأَحْدَاثِ بِلَا نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ !

فَهَا هِيَ الدُّنْيَا تَعِيشُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى مُنْذُ بَدَأَ
الْخَلِيقَةَ ، فَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ تَسْوِسُهُمْ وَتَوَمُّهُمْ ، وَالْيَوْمَ
جَاءَتِ الرِّسَالَةُ الْأَخِيرَةُ وَالنَّبِيُّ الْخَاتَمُ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ^(١) ، فَمَاذَا يَفْعَلُ
النَّاسُ ؟!

وَتُذَرِّكُ أُمُّ أَيَمَنْ حَاضِنَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا انْقِطَاعَ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بَدَأَ الْفِصَامُ النِّكَدُ مَا لَمْ يَكُنْ

(١) إشارَةً إِلَى حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسْوِسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ . . خَلَفَهُ نَبِيٌّ ،
وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ، بَابُ وَجُوبِ بَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ
(١٤٧١ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٨٤٢) .

الْتَّمِسْكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عِصْمَةً وَوَقَايَةً وَسَبِيلَ الْأُمَّةِ فِي الطَّرِيقِ
النَّاهِجِ الطَّوِيلِ .

٥٢- رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : (قَالَ أَبُو
بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِعُمَرَ : أَنْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهَا . . بَكَتْ ، فَقَالَا لَهَا : مَا
يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي إِلَّا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ
السَّمَاءِ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا ^(١) .

وَلَنَا مَعَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا لِقَاءَاتٌ ؛ إِذْ
هِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ بَيْتِهِ رَوَايَةً لِحَبْرٍ وَفَاتِهِ ، وَهِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى آخِرِ
الْمَوَاقِفِ وَأَحْرَهَا ، فَتَقُولُ :

٥٣- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ :

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٩٠٧/٤) كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ : مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا (١٩٠٧/٤) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٢٤٥٤) .

« إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُحْيَا أَوْ يُخَيَّرَ » .

فَلَمَّا أُسْتُكِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فِخْذِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا . . غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ . . شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ : « اَللَّهُمَّ ؛ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » .

قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (إِذَا لَا يَخْتَارُنَا) ^(١) إِذَا لَا يُجَاوِرُنَا ، قَالَتْ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ ^(٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ قَالَتْ : فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ : « اَللَّهُمَّ ؛ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى » ^(٣) .

(١) هَذِهِ الَّلَفْظَةُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الرَّقَاقِ ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ . . . أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ (١٠٦ / ٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٥٠٩) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٠ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٣٧) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا (١٨٩٤ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٤٤٤) (الْمُتَابَعَةُ : (٨٧) .

(اَللّٰهُمَّ الرَّفِيقَ الْاَعْلٰى) اٰخِرُ اَلْهَمَسَاتِ ، بَلْ اٰخِرُ اَلْكَلِمَاتِ ،
 اِنَّهَا تَرَسُّمُ الطَّرِيقِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مَّاضٍ فِي طَرِيقِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، اِنَّهَا
 اَلْكَلِمَةُ الْفَصْلُ ، فَاِمَّا اَنْ يَكُوْنَ الْعَبْدُ مَعَ الرَّفِيقِ الْاَعْلٰى ، وَاِمَّا اَنْ
 يَخْتَارَ اَذْنٰى الرَّفَاقِ مِنْ اَهْلِ الضَّلَالِ وَالشَّقَاقِ ، وَهَلْ يَسْتَوِيَانِ
 مَثَلًا ؟ ! اِنَّهُ لَحَدَلٌ غَيْرُ عَدَلٍ !

(اَللّٰهُمَّ الرَّفِيقَ الْاَعْلٰى) لِيَعْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اُمَّتَهُ
 وَهُوَ فِي اَشَدِّ اللَّحْظَاتِ وَاثْقَلِهَا : اَنَّ الْحَيَاةَ وَاِنْ طَالَتْ وَتَمَتَّعَ بِهَا
 الْمَرْءُ اِلٰى نِهَآيَةِ ؛ فَلَتَكُنْ مَعَ الرَّفِيقِ الْاَعْلٰى .

(اَللّٰهُمَّ الرَّفِيقَ الْاَعْلٰى) لِكَيْ يُذَرِكَ الْمَوْتُ وَاَنْتَ عَلَى
 ذٰلِكَ ؛ عَلَى الدَّرَبِ السَّهْلِ الرَّفِيقِ ، حَتّٰى تَكُوْنَ بِعَوْنِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ
 ﴿ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالشّٰهَدَآءِ
 وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) .

٥٤- وَمِنْ اٰخِرِ اَلْكَلِمَاتِ الَّتِي هَمَسَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فِي اَحْتِضَارِهِ : مَا رَوَاهُ اَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُ
 قَالَ : كَانَ اٰخِرُ وَصِيَّةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَغْرُغُرُ

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ ، آيَةُ : (٦٩) .

بِهَا فِي صَدْرِهِ^(١) ، وَمَا كَانَ يَفِيصُ^(٢) بِهَا لِسَانُهُ : « الصَّلَاةُ
الصَّلَاةُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »^(٣) .

(١) غَزَغَرَ يُغَزِغِرُ : أَضْلَاهَا أَنْ يُغَزِغَرَ الْإِنْسَانُ الْمَاءَ فِي حَلْقِهِ وَلَا يُسِغُهُ « جَمْهَرَةُ
اللُّغَةِ » لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، مَوْلَدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢٢٣هـ) وَوَفَاتُهُ
سَنَةَ (٣٢١هـ) ثَلَاثَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، حَقَّقَهُ رَمَزِي الْبَغْلَبَكِيُّ بِدَارِ الْعِلْمِ لِلْمَلَائِينَ
(١٩٨٧م) (١٢٥٦/٣) وَوَجْهُ الْكَلَامِ : عَدَمُ بُلُوغِ الرُّوحِ الْخُلُقُومِ . « النِّهَايَةُ
فِي الْغَرِيبِ » (٣٦٠/٣) .

(٢) قَالَ فِي « شَرْحِ السُّنَّةِ » (٣٥٠/٩) لِلْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْبَغَوِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ
(٤٣٦هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٥١٦هـ) سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، بِتَحْقِيقِ شُعَيْبِ
الْأَزْزَاوُوطِ ، طَبَعَهُ الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ بِبَيْرُوتَ سَنَةَ (١٩٨٣م) وَسَيِّسَارُ لَهُ فِيمَا
بَعْدُ : « شَرْحُ السُّنَّةِ » : (وَمَا يَفِيصُ بِهِ لِسَانُهُ) هُوَ بِالضَّادِ غَيْرِ الْمُعْجَمَةِ ؛
يَعْنِي : مَا يُبَيِّنُ كَلَامَهُ ، يُقَالُ : فُلَانٌ مَا يَفِيصُ بِكَلِمَةٍ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ
بَيَّانًا ، وَفُلَانٌ ذُو إِفَاصَةٍ ؛ أَيُّ : ذُو بَيَّانٍ .

قَالَ الْبَاحِثُ : وَقَعَتْ بَعْضُ الرُّوَايَاتِ : « يَفِيصُ » بِالضَّادِ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ
أَحْمَدَ » (١١٧/٣) وَ« أَبْنُ مَاجَةَ » كِتَابُ مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
ذِكْرِ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥١٩/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(١٦٢٥) وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ أَبْنِ حِبَّانَ بِتَرْتِيبِ أَبْنِ بَلْبَانَ » لِأَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدٍ
بْنِ حِبَّانَ الْبُسْتِيِّ ، مَوْلَدُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٢٧٠هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٥٤هـ) رَتَّبَهُ عَلَاءُ
الَّذِينَ عَلَيْهِ بُنْ بَلْبَانَ الْفَارِسِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٦٧٥هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٧٣٩هـ)
ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، تَحْقِيقُ شُعَيْبِ الْأَزْزَاوُوطِ ، طَبَعُ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ سَنَةَ
(١٩٩٣م) ، وَسَيِّسَارُ لَهُ فِيمَا بَعْدُ : « صَحِيحُ أَبْنِ حِبَّانَ » (٥٧٠/١٤) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٦٦٠٥) .

٥٥- وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : إِنَّ
 مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي
 بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ
 رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا
 مُسْنِدَةٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ
 أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ ، فَقُلْتُ : أَخْذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ،
 فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أَلَيْسَ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ
 نَعَمْ ، فَلَيَّسْتُهُ فَأَمَرَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ
 فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ
 سَكْرَاتٍ » (١) .

إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (مَا
 رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ) (٢) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 (١٣/٦) رَفْعُ الْحَدِيثِ : (٤٤٤٩) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَرَضَى ، بَابُ شِدَّةِ الْمَرَضِ (١١٥/٧) رَفْعُ
 الْحَدِيثِ : (٥٦٤٦) .

٥٦- قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (مَا
أَغْبَطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١) .

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
التَّشْدِيدِ عِنْدَ الْمَوْتِ (٣ / ٣٠٩) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٧٩) .

تَاسِعًا : الدَّارُ الْآخِرَةُ

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوفَ الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ (١) .

كَانَتْ تِلْكَ الْآيَةُ بَعْضَ الْبَشَائِرِ الَّتِي تَحْدُو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهُوَ يُودِّعُ دَارَ الدُّنْيَا .

٥٧- وَيَرْوي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ .. أَحَبَّ اللَّهُ
لِقَاءَهُ » (٢) .

٥٨- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا صَلَّيْتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ » (٣) .

(١) سُورَةُ الْقَصَصِ ، الْآيَةُ : (٨٣) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الرِّقَاقِ ، بَابُ : مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ .. أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ
(١٠٦ / ٨) رَفَعَهُ أَحَدِيثُ : (٦٥٠٧) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

٥٩- وَعَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَبَهَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : « يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ » .

فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَقِيعَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : « لِيَهِنَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ ، أَقْبَلَتْ أَلْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا ، الْآخِرَةُ شَرُّ مِنَ الْأُولَى ، يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ؛ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، فَخِيرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ؛ لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ » .

ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ . .
أَبْتَدِئَ بِوَجْعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ^(١) .

= وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٠ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٣٧) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ » (١٦٢ / ٧) لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ أَلْبَيْهَقِيِّ .

وَيَأْتِي يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ ، أَثْقَلُ الْأَيَّامِ فِي ذَاكِرَةِ الْأُمَّةِ عَلَى الْأُمَّةِ ،
يَوْمَ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ أُنْقَلَتْ مُخْتَارًا إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى .

٦٠- وَيَأْتِي يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ (فَبَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ
يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ . . لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى
عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الْصَفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ
أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَقْتَتُوا فِي صَلَاتِهِمْ ؛
فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ ، ثُمَّ دَخَلَ
الْحُجْرَةَ ، وَأَرْخَى السُّتْرَ (١) .

وَأَرْخَى السُّتْرَ ، فَكَانَتْ آخِرَ ابْتِسَامَةِ يَرَاهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مِيتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٢/٦)
رَفَعَهُ الْحَدِيثُ : (٤٤٤٨) .

٦١- وَكَانَ (آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ) (١) كَمَا
كَانَتْ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

٦٢- (وَتُوَفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ،
وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ
مَوْتِهِ) (٢) .

٦٣- (ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » حَتَّى
قُبِضَ ، وَمَالَتْ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٣) (فَمَاتَ) (٤)
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٣ / ٦) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٤٤٥١) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] (١٤ / ٦) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٤٤٥٩) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠]
(١٤ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٤٩) .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠]
(١٣ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٠) .

٦٤- وَيَتَّقِلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، طَابَ حَيًّا وَطَابَ مَيِّتًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، أَكْثَرَ الْأَيَّامِ ظُلْمَةً وَشِدَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٦٥- قَالَ : « فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، قَالَ : « أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ »^(٢) .
وَتَصُمْتُ الدُّنْيَا ، وَيَسْكُنُ الْكَوْنُ ، وَتَهْدَأُ الْأَصْوَاتُ ، فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ، هِيَ آخِرُ النَّظَرَاتِ ، هِيَ آخِرُ الْخَلَجَاتِ ، وَيَمُوتُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَنْقَطِعُ خَبَرُ السَّمَاءِ .
وَيَنْقَطِعُ خَبَرُ السَّمَاءِ ، وَيَتَوَقَّفُ جِبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ عَزِيزٍ ، جِدُّ عَزِيزٍ ؛ أَشْرَقَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَسَعِدَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ ، إِنَّهُ وَحْيُ السَّمَاءِ .

وَيَقَعُ الْ حَدَّثُ الْجَلَلُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا قَبَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ (٦ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦٦٧) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَوْتِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ (١٠٢ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٣٨٧) .

وَيَبْكِي الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَيُسْكَبُ دَمْعُ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَيَعْقِرُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَتَصِيرُ
الْوَفَاةُ حَقِيقَةً ، وَتَذُوقُ بَيُوتُ الْمَدِينَةِ كُلُّهَا طَعْمَ الْمَوْتِ مُصِيبَةً ،
وَيُحَاوِلُ الْأَحِبَّةُ دَفْعَ خَبَرِ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا
يُصَدِّقُونَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

* * *

عَاشِرًا : أَثَرُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

وَتَصَعَّدُ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ إِلَى جِوَارِ رَبِّهَا ، فَلَا تَجِدُ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ تَقْبِضُ رُوحَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَتْ :

٦٦- (فَبَيْنَمَا رَأْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْكِبِي إِذْ مَالَ رَأْسُهُ نَحْوَ
رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ رَأْسِي حَاجَةً ، فَخَرَجْتُ مِنْ فِيهِ نُطْفَةً
بَارِدَةً ، فَوَقَعَتْ عَلَى ثُغْرَةِ نَحْرِي ، فَأَقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ
غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَسَجَّيْتُهِ ثَوْبًا) (١) .

٦٧- (فَلَمَّا خَرَجْتُ نَفْسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . لَمْ أَجِدْ رِيحًا
قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا) (٢) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢١٩ / ٦) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (١٢١ / ٦) .

هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ ، هَذِهِ الرَّائِحَةُ الزَّكِيَّةُ ، هِيَ رُوحُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجَى إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١) .

٦٨- (فَقَدْ كَانَ طَيِّبًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٢) حَيًّا وَمَيِّتًا .

وَتَنْدُبُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَبَاهَا :

٦٩- (يَا أَبَتَاهُ ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ ، إِلَىٰ جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ!) (٣) .

(وَأَبَتَاهُ ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! وَأَبَتَاهُ ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ! وَأَبَتَاهُ ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ! وَأَبَتَاهُ ، إِلَىٰ جِبْرَائِيلَ أَنْعَاهُ!) (٤) .

وَيَسْرَبُ النَّدْبُ إِلَى الْأَصْحَابِ ، وَيَهَامِسُونَ بِهِ ، وَيَدْفَعُونَ

(١) آيَاتُ (٢٧- ٣٠) مِنْ سُورَةِ الْفَجْرِ .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي نَجَّاهٍ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١ / ٤٧١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ » وَاللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (١ / ٦٢) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٦ / ١٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ أَبِي حَبَّانٍ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤ / ٥٩٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٢٢) .

الْخَبَرَ فَلَا يُرِيدُونَ تَصَدِيقَهُ ، فَالْنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ
يَمُوتَ ، وَالْخَبَرُ دَسِيسَةُ الْمُنَافِقِينَ ، وَيَجِبُ مُلَاحَقَةُ مَنْ يَزْعُمُ مَوْتَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧٠- تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ
بُنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، فَاسْتَأْذَنَّا ، فَأَذْنَتْ لَهُمَا ،
وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَاعْشِيَاهُ ، مَا أَشَدَّ
غَشْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ
الْبَابِ . . قَالَ الْمُغِيرَةُ : يَا عُمَرُ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ) (١) .

فَعَائِشَةُ لَا تُرِيدُ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ ، فَحِينَ
يَمِيلُ رَأْسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ رَأْسِهَا . . يَمِيلُ بَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ
رَبَّهُ ، بَعْدَ أَنْ يَهْمَسَ « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » وَبَعْدَ أَنْ تُتِمَّمَ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا : « إِذَا لَا يَخْتَارُنَا » (٢) وَمَعَ وُرُودِ كُلِّ تِلْكَ الْقَرَائِنِ إِلَّا
أَنَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦/٢١٩) .

(٢) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهَا (٤/١٨٩٤) رَفَعَهُ الْحَدِيثُ : (٢٤٤٤) .

وَيَأْتِي عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا لِعِيَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرِيَاهُ مَيِّتًا ، تَذُلُّ كُلُّ الْأَمَارَاتِ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ دَفَعَ تِلْكَ الْفِكْرَةَ ، وَيَتَوَهَّمُ الْغَشْيَ (وَاعْشِيَاهُ ، مَا أَشَدَّ غَشْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !) .

وَيُعْلِنُهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حَرْبًا عَلَى مَنْ يَهْمِسُ بِهَا هَمْسًا ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُعْلِنُ ذَلِكَ !؟

فَحِينَ يَقُولُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ . . يُوَاجِهُهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مُنْفَعِلًا بِالْعَاصِفَةِ : (كَذَبْتَ ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكُ ^(١) فِتْنَةٌ ^(٢)) .

ثُمَّ يَمْضِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ أَذْهَشَتْهُ صَدَمَةٌ

(١) يَذُلُّ أَصْلُ وَضَعَ كَلِمَةً (حَوْسٍ) عَلَى مُخَالَطَةِ الشَّيْءِ وَوَطْنِهِ « مُعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ » لِأَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ بْنِ زَكَرِيَّا ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٣٢٩ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٣٩٥ هـ) تَحْقِيقُ عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣٢٧ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٤٠٨ هـ) سِتَّةُ مُجَلَّدَاتٍ ، طَبْعُ دَارِ الْفِكْرِ بَيْسُوتَ ، وَسَيِّسَارُ لَهُ بَعْدُ : « مُعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ » (١١٨ / ٢) وَمَعْنَى (تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ) : أَنْ تُخَالَطَكَ وَتَحْتَكَّ عَلَى رُكُوبِهَا « النِّهَايَةُ فِي الْغَرِيبِ » (١ / ٤٦٠) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦ / ٢١٩) .

الْفِرَاقِ ، وَتَهَامَسَ النَّاسُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا
أَسْرَعَ أَنْ قَالَ :

٧١- (وَاللَّهِ ؛ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَاللَّهِ ؛ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ ، وَلَيَعْنَتُهُ اللَّهُ ، فَلَيَقْطَعَنَّ
أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ)^(١) ثُمَّ يَقُولُ :

٧٢- (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمُوتُ حَتَّى
يُفْنِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ)^(٢) .

وَيَتَأَوَّلُ عُمَرُ مَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا وَقَعَ لِمُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خُرُوجِ لَمِيقَاتِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) ، فَيَقُولُ :

٧٣- (لَا أَسْمَعَنَّ أَحَدًا يَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ، إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ ، لَكِنْ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا » (٧ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(٣٦٧٠) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢١٩ / ٦) .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ ﴾ آيَةُ : (٥١) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَبُّهُ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى ، فَلَبِثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (١) .

كُلُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ؛ (بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحْسُوكَ فِتْنَةٌ) ، (فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ) ، (لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ) ، (أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَبُّهُ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى) .

كُلُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ الْحَقِيقَةَ الْأَلِيمَةَ .

٧٤- فَقَالَ النَّاسُ : (يَا سَالِمُ ؛ أَنْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْعُهُ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ أَبْكِي دَهْشًا ، فَلَمَّا رَأَنِي . . قَالَ لِي : أَقْبِضْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : إِنَّ عُمَرَ يَقُولُ : لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قُبِضَ إِلَّا ضَرَبَتْهُ بِسَيْفِي هَذَا ، فَقَالَ لِي : أَنْطَلِقْ ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَجَاءَ (٢) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

(١) إسناده صحيح ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ ابْنِ جَبَّانَ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٨٨ / ١٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٢٠) .

(٢) إسناده صحيح ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الصَّحَابِيِّ ، أَنْظَرُ : « أَلَشَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص ٣٣٨) .

٧٥- (حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا) ^(١) (وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَفَرَجُوا لِي ، فَأَفَرَجُوا لَهُ) ^(٢) ، (فَتَيَمَّمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُعَشَّى بِثَوْبِ حَبْرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ) ^(٣) (حَتَّى أَكَبَّ عَلَيْهِ وَمَسَّهُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾) ^(٤) ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَتِ أَنْتَ وَأُمِّي ، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ . . فَقَدْ مَتَّهَا) ^(٥) ثُمَّ قَالَ :

٧٦ - (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

- (١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (١٣ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .
- (٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِ الصَّحَابِيِّ ، أَنْظَرُ : « الشَّامِلُ الْمُحَمَّدِيُّ » (ص ٣٣٨) وَالْآيَةُ (٣٠) مِنْ سُورَةِ الزَّمَرِ .
- (٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (١٣ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .
- (٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِ الصَّحَابِيِّ ، أَنْظَرُ : « الشَّامِلُ الْمُحَمَّدِيُّ » (ص ٣٣٨) وَالْآيَةُ (٣٠) مِنْ سُورَةِ الزَّمَرِ .
- (٥) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (١٣ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٥٢) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ ^(١) (وَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى سَاعِدَيْهِ) ^(٢) وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : (وَابْنِيَّاهُ ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاصْفِيَّاهُ ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ : وَاخْلِيلَاهُ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ) ^(٣) .

٧٧- (وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَقَالَ : أَجْلِسْ ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَقَالَ : أَجْلِسْ ، فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ ، فَمَالَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَوْا عُمَرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ مَنْ كَانَ فِيكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا . . فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢٢٠ / ٦) ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَنْزِلُ لِتَقْبِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَمِهِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٠٠ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (١٧٤ هـ) : الْحَذَرُ : مَا تَخَذَرُهُ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سُفُلٍ ، أَنْظَرُ : « أَلْعَيْنُ » (٢٠٦ / ١) تَحْقِيقُ د . مَهْدِي الْمَخْزُومِي ، وَإِبْرَاهِيمَ السَّامَرَايِّي ، فِي ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءَ ، طُبِعَ بِدَارِ الْهَلَالِ ، وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ : حَدَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَنْزَلْتُهُ . أَنْظَرُ : « مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللَّغَةِ » (٣٢ / ٢) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص ٣٣٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٩٢) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢٢٠ / ٦) .

مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ . فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

٧٨- قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : وَاللَّهِ ؛ لَكَانَ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٍ إِلَّا يَتْلُوهَا .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : وَاللَّهِ ؛ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقَلِّنِي رِجْلَايَ ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا . . عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ (٢) .

٧٩- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا ، لَقَدْ خَوْفَ عُمَرُ النَّاسَ ، وَإِنَّ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ : (١٤٤) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ أَبِي جَبَّانٍ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٨٨/١٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٢٠) .

فِيهِمْ لِنَفَاقًا ، فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ
الْهُدَى ، وَعَرَّفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) (٢) .

وَصَدَقَ عُمَرُ سَاعَتَهَا أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

* * *

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةٌ : (١٤٤) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا » (٧/٥) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٣٦٧٠) .

حَادِي عَشَرَ : غُسْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتَكْفِينُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ

ذَهَلَ الصَّحَابَةُ لِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَكُنْ
لَدَيْهِمْ دَلِيلٌ لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، وَصُدُّوا لِمَوْتِهِ ، فَالْخَبِيرُ
أَكْبَرُ مِنْ أَكَابِرِهِمْ .

فَهَذَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَا تُقْلُهُ قَدَمَاهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ
يَبْكِي ، وَيُعْلِنُ الْحَقِيقَةَ وَحْدَهُ ، وَيَتَحَمَّلُهَا ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ
عَلَيْهَا .

مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَتَزَدَحِمُ الْأَحْدَاثُ عَلَى الْكِرَامِ ، فَالْمَدِينَةُ لَا زَالَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى
الَّذِينَ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ مِمَّنْ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْكُفْرَ ، وَالْعَرَبُ
حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَالْجَيْشُ خَارِجُ الْمَدِينَةِ يَتَجَهَّزُ لَغَزْوِ الشَّامِ ،
وَالنَّاسُ مَا أَلْفَتِ الْحُكْمَ ، وَمَا أَعْتَادَتِ النِّظَامَ ، وَمَا جَرَوْا عَلَى
مَذَاهِبِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْتَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْدِّينِ الْجَدِيدِ .

وَدَهَشَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ الْهَائِلِ ،
فَانْشَغَلُوا فِي جَمْعِ صَفِّ النَّاسِ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ يُصَلِّي لَهُمْ
صَلَاتَهُمْ ، وَيَقُومُ عَلَى حَاجَاتِهِمْ ، وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ ،
وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَأَنْتَهَى الصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ مَصَالِحَ
الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ انْفَتَحُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مِنْ
أَجْلِ غُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَدَفْنِهِ ، فَالْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ لَا بُدَّ
مِنْ تَجَرُّعِهَا .

وَحَارَ الصَّحَابَةُ فِي أَمْرِ غُسْلِهِ وَدَفْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٠ - تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالُوا : وَاللَّهِ ؛ مَا نَذَرِي أَنْ جَرَّدَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ
وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا . . أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ
رَجُلٌ إِلَّا وَدَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا
يَذَرُونَ مَنْ هُوَ : أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ
ثِيَابُهُ) (١) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » (١٩٦ / ٣) رَفَعُ الْحَدِيثِ : =

٨١- وَرَوَى سَالِمُ بْنُ عَبْدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَمَرَهُمْ أَنْ يُغَسِّلَهُ بَنُو أَبِيهِ (١) .

فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ ، وَيُدْلِكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ .

٨٢- وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تَقُولُ : (لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ . . مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ) (٢) .

٨٣- وَيَرْوي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَنَّهُ لَمَّا غَسَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يَلْتَمِسُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ : (يَا بِي ، الطَّيِّبُ ، طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا) (٣) .

= (٣١٤١) كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي سِتْرِ الْمَيِّتِ عِنْدَ غُسْلِهِ ، وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ الْإِمَامُ فِي السِّيَرِ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « الشَّامِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص : ٣٣٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ » (١٩٦ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣١٤١) كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي سِتْرِ الْمَيِّتِ عِنْدَ غُسْلِهِ ، وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ الْإِمَامُ فِي السِّيَرِ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ » وَاللَّفْظُ لَهُ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا =

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَفَقَّدَ كَفَنَهُ وَهُوَ يَنْزِعُ .

٨٤- فَنَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يُمَرِّضُ فِيهِ بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ : « أَغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفَّنُونِي فِيهَا » قُلْتُ : إِنَّ هَذَا خَلْقٌ ، قَالَ : « إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ » (١) .

٨٥- وَكُفِّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبٍ نَجْرَانِيٍّ وَرَيْطَتَيْنِ (٢) .

٨٦- وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : (كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ

= جَاءَ فِي غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٧١/١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ » عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (٦٢/١) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَوْتِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ (١٠٢/٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٣٨٧) قَالَ فِي الْفَتْحِ (٢٥٣/٣) : (الْخَلْقُ :

غَيْرُ جَدِيدٍ ، وَرَدْعُ الزَّعْفَرَانِ : زَعْفَرَانٌ لُطَخَ بِالثَّوْبِ لِكِنْ لَمْ يَعُمَّهُ) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانٍ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٩٨/١٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٣٠) .

وَالرَّيْطَتَانِ : مِثْلَى رَيْطَةٍ ، وَهِيَ كُلُّ مَلَأَةٍ لَيْسَتْ بِلَفْقَيْنِ ، وَقِيلَ : كُلُّ ثَوْبٍ رَقِيقٍ لَيْنٍ ، وَالْجَمْعُ : رَيْطٌ ، وَرِيَاطٌ ، أَنْظَرُ : « النِّهَايَةُ فِي الْغَرِيبِ » (٢٨٩/٢) .

كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ (١) .

وَأَشْكَلَ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ فِي بُرْدٍ
يَمَانِيٍّ ، وَهُوَ الْحُلَّةُ أَوْ الْحَبْرَةُ (٢) ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهَا :

٨٧- (قَدْ أَتَيْتِ بِالْبُرْدِ ، وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوهُ وَلَمْ يُكَفِّنُوهُ فِيهِ) (٣) .

٨٨- ثُمَّ (أَدْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ يَمَانِيَّةٍ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ الثِّيَابِ الْبَيْضِ لِلْكُفَنِ (٧٥ / ٢) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (١٢٦٤) وَ « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » وَاللَّفْظُ لَهُ (٦٤٩ / ٢) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٩٤١) . وَالسَّحُولِيَّةُ : يُزَوَّى بِفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا ؛ فَالْفَتْحُ مَنْسُوبٌ
إِلَى السَّحُولِ ، وَهُوَ الْقَصَارُ ؛ لِأَنَّهُ يَسَحِّلُهَا ؛ أَيِ : يَغْسِلُهَا ، أَوْ إِلَى سَحُولٍ ،
قَرِيَّةٍ بِالْيَمَنِ ، تُحْمَلُ مِنْهَا هَذِهِ الثِّيَابُ ، وَأَمَّا بِالضَّمِّ . . فَهُوَ جَمْعُ سَحَلٍ ، وَهُوَ
الْتَوْبُ الْأَبْيَضُ النَّقِيُّ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قُطْنٍ ، وَفِيهِ شُدُودٌ ؛ لِأَنَّهُ نُسِبَ إِلَى
الْجَمْعِ ، وَالْكُرْسُفُ : الْقُطْنُ . أَنْظَرُ : « النَّهْيَةُ فِي الْغَرِيبِ » (٣٤٧ / ٢)
و « الْمِنْهَاجُ » لِلنَّوَوِيِّ (٧ / ٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي مَاجَةَ » (٤٧٢ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ :
(١٤٦٩) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كُفَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٢١ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٩٦) وَقَالَ : هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، ثُمَّ نَزَعَتْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

٨٩ - (فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فَقَالَ : لِأَحْسَنِّهَا حَتَّى أَكْفَنَ فِيهَا نَفْسِي) (٢) .

وَلِذَلِكَ ذَكَّرُوا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا مَا ذَكَّرُوا فَأَنْكَرَتْهُ وَقَالَتْ :

٩٠ - (أَمَّا الْحُلَّةُ .. فَإِنَّمَا شُبَّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا أَنَّهَا اشْتَرَيْتَ لَهُ لِيُكْفَنَ فِيهَا ؛ فَتَرَكْتَ الْحُلَّةُ) (٣) .

قَالَ التِّرْمِذِيُّ : (رُوِيَ فِي كَفَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَايَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَصَحُّ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَ فِي كَفَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٤) .

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي كَفَنِ الْمَيِّتِ (٦٥٠ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٤١) الْمُتَابَعَةُ (٤٦) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي كَفَنِ الْمَيِّتِ (٦٤٩ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٤١) الْمُتَابَعَةُ (٤٥) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي كَفَنِ الْمَيِّتِ (٦٤٩ / ٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٤١) الْمُتَابَعَةُ (٤٥) .

(٤) « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » (٣٢٢ / ٣) .

وَبَدَأَ النَّاسُ يُجَهِّزُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ .
 إِنَّهَا صَلَاةُ الْوَدَاعِ وَفِي الضَّرِيحِ وَفِي الْأَكْفَانِ أَحْزَانُ .
 إِنَّهَا صَلَاةُ الْوَدَاعِ وَفِي الْوَدَاعِ وَفِي الْإِجْنَانِ أَشْجَانُ .
 إِنَّهَا صَلَاةُ الْوَدَاعِ وَإِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ .
 إِنَّهَا صَلَاةُ الْوَدَاعِ وَإِنَّهُ الرَّحِيلُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ .
 إِنَّهَا الْأُمَّةُ الثَّكَلَى بِوَفَاةِ نَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 إِنَّهَا صَلَاةُ الْوَدَاعِ ، فَوَدَّعَ فَوَادَكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقِ مِنْ سَيِّدِ
 الْأَنْبِيَاءِ .

٩١- فَقَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
 أَيُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) .
 فَقَالُوا : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : (يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ ثُمَّ
 يَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ ثُمَّ
 يَخْرُجُونَ ، حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ) (١) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عُيَيْدٍ الصَّحَابِيِّ ، أَنْظَرُ : « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ »
 (ص ٣٣٨) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

٩٢- (فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ) (١) .

(وَصَلَّى النَّاسُ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا لَا يَوْمُئِهِمْ أَحَدٌ) (٢) .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ :

(وَأَمَّا صَلَاةُ النَّاسِ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا . . فَمُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ السَّيْرِ وَجَمَاعَةِ أَهْلِ النَّقْلِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) (٣) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : (وَهَذَا الصَّنِيعُ - وَهُوَ صَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ فِرَادَى لَمْ يَوْمُهُمْ أَحَدٌ عَلَيْهِ - أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لَا خِلَافَ فِيهِ) (٤) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٨١ / ٥) عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) قَالَ مَالِكٌ فِي « الْمَوْطَأِ » (١ / ٢٣١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٧) .

(٣) التَّنْهِيدُ لِمَا فِي الْمَوْطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ ، لِأَبِي عُمَرَ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّمِرِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٣٦٨ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٤٦٣ هـ) الْمَشْهُورُ : بِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ، (٢٦) جُزْءًا ، تَحْقِيقُ : مُصْطَفَى أَحْمَدَ الْعُلَوِيِّ ، وَحَقَّقَ هَذَا الْجُزْءَ سَعِيدُ أَحْمَدَ أَعْرَابٍ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٤٢٤ هـ) طَبَعَتْهُ الْمَكْتَبَةُ الْمَلِكِيَّةُ بِالرِّبَاطِ سَنَةَ (١٩٦٧ م) وَسَيَسَارُ لَهُ عِنْدَ وَرُودِهِ : « التَّنْهِيدُ » (٢٤ / ٣٩٧) .

(٤) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ، لِأَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٧٠١ هـ) وَوَفَاتُهُ سَنَةَ (٧٧٤ هـ) طَبَعَتْهُ مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ بَبِزْوَوت فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ جُزْءًا مَجْمُوعَةً فِي سَبْعَةِ مَجْلَدَاتٍ ، وَسَيَسَارُ لَهُ عِنْدَ وَرُودِهِ : « الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ » (٥ / ٢٦٥) .

لَقَدْ صَارَ الْأَمْرُ حَقِيقَةً كُبْرَى ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَهَلْ تُصَدِّقُ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُنَّ لَنْ يَرَيْنَهُ بَعْدَ الْيَوْمِ ؟
الَلَّيْلُ يَكْسُو الْمَدِينَةَ بِالْبُكَاءِ وَبِالْذُمُوعِ ، تَجْرِي سَوَاكِبُ دَمْعِهَا
نَحْوَ اللَّحَى ، نَحْوَ الْخُدُودِ .

هَذِي الْفَوَاطِمُ كُلُّهُنَّ وَعَائِشَةُ .

هَذِي الْحَبِيبَةُ بَضْعَةُ الْمُخْتَارِ تَنْدُبُ سَيِّدِي .

هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ سَجَّتهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِحَبْرَةِ كَفَنِ الْوَدَاعِ .

وَبَضْعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْكِيهِ ، وَتَنْدُبُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاهَا .

هَا هُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ يَبْكِينَ النَّبِيَّ الْحَبِيبَ الْغَالِي .

وَنَامَ الصَّبِيَّةُ الصَّغَارُ ، وَأَرَقَّتِ الْمَدَامُ سَائِرَ النَّاسِ .

٩٣- (قَالُوا : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ؛ أَيُذْفَنُ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : أَيْنَ ؟ قَالَ : فِي
الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ)^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الصَّحَّابِيِّ ، أَنْظَرُ : « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » =

هَآ هِيَ الْفُؤُوسُ تُشَقُّهُمَا مَعًا ، وَتَصْدَعُهُمَا مَعًا ؛ قُلُوبَ
الصَّالِحِينَ ، وَالْأَرْضَ الَّتِي تَضُمُّ إِلَيْهَا سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ : (الَّذِي أَحَدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو طَلْحَةَ) (١) .

٩٤- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : (مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ
لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ) (٢) .

وَأَكْتَسَتِ الْمَدِينَةُ بِالْحُزْنِ الْمُعْتَقِ ، وَتَفَتَّقَتِ الْقُلُوبُ بِالْأَسَى ،
وَاللَّيْلُ يَقْطَعُهُ وَقَعُ الْمَسَاحِي وَالْكَرَارِينَ .

وَكَانَ وَقَعُ الْمَسَاحِي فِي الْمَوْطِنِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

= (ص ٣٣٨) رَفَعُ الْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، مَوْفُوفٌ عَلَى الْبَاقِرِ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ،
بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقُوبِ الْوَاحِدِ يُلْقَى تَحْتَ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ (٣ / ٣٦٥) رَفَعُ
الْحَدِيثِ : (١٠٤٧) وَأَشَارَ إِلَيْهِ الْأَلْبَانِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٣٣٣ هـ) وَوَفَاتَهُ
سَنَةَ (١٤٢٠ هـ) فِي « مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ » (ص ١٩٨) قَالَ : الَّذِي حَفَرَ الْقَبْرَ
هُوَ أَبُو طَلْحَةَ .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٦ / ٢٧٤) .

وَسَلَّمَ ، كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ :

٩٥- سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ ، قَالَ : « مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ » أَدْفَنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ^(١) .

٩٦- (فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ)^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٩٧- (وَلِحَدِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْدًا ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ اللَّبْنُ نَصْبًا)^(٣) .

٩٨- (وَجُعِلَ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دُفِنَ قُطَيْفَةٌ حَمْرَاءُ)^(٤) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ آخِرُ (٣٣٨ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٠١٨) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الصَّحَابِيِّ ، أَنْظَرُ : « السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ » (ص ٣٣٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٩٧) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ عَلِيٍّ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي مَاجَةَ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٧١ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٤٦٧) وَ« مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ » وَاللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (٦٢ / ١) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ النَّسَائِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ وَضْعِ الثُّوبِ فِي اللَّحْدِ (٨١ / ٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٠١٢) وَاللَّفْظُ لَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : (جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةٌ حُمْرَاءُ) (١) .

٩٩- قَالَ شُقْرَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (أَنَا وَاللَّهُ طَرَحْتُ الْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَبْرِ) (٢) .

١٠٠- (وَوُضِعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَحْدِهِ) (٣) .

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

١٠١- (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْدَ ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبَنُ نَضْبًا) (٤) .

١٠٢- (وَوَلِيَ دَفَنَهُ وَإِجْنَانَهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ أَرْبَعَةٌ : عَلِيٌّ ،

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ جَعْلِ الْقَطِيفَةِ فِي الْقَبْرِ (٦٦٥/٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩٦٧) .

(٢) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثُّوبِ الْوَاحِدِ يُلْقَى تَحْتَ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ (٣٦٥/٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٠٤٧) وَقَالَ : حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٨١/٥) عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ أَبِي حَبَانَ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٠٢/١٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٣٥) .

وَالْعَبَّاسُ ، وَالْفَضْلُ ، وَصَالِحُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

وَصَارَ اللَّحْدُ سُنَّةً ، وَأَقْتَدَى بِهِ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

١٠٣- (اَلْحَدُّوا لِي لَحْدًا ، وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبْنَ نَضْبًا ، كَمَا صَنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٢) .

وَكَانَ اللَّحْدُ وَفْقَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

١٠٤- « اَللَّحْدُ لَنَا ، وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا » (٣) .

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٧١ / ١) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٤٦٧) ، وَ« مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ » وَاللَّفْظُ لَهُ ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (٦٢ / ١) .

(٢) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي اللَّحْدِ وَنَضْبِ اللَّبَنِ عَلَى الْمَيِّتِ (٢ / ٦٦٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٩٦٦) .

(٣) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا » (٣ / ٣٦٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٠٤٥) .

١٠٥- (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَحْيَى ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ
الْلَّبَنُ نَضْبًا) (١) .

١٠٦- قَالَ الْمُغِيرَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (قَدْ بَقِيَ مِنْ رَجُلَيْهِ
شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ ، قَالُوا : فَأَدْخُلْ فَأَصْلِحْهُ ، فَدَخَلَ ، وَأَدْخَلَ
يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ : أَهْيَلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ ، فَهَالُوا عَلَيْهِ
التُّرَابَ حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَكَانَ يَقُولُ : أَنَا
أَحَدُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٢) .

أَهْيَلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ ، أَهْيَلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ ، فَكَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ
يَخْرُجَ مِنْ جَوَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتُصَدِّقُونَ ؟! دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَكَيْفَ طَابَتِ النَّفُوسُ أَنْ تَحْتُوَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ ؟!

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : «صَحِيحُ أَبِي حَبَّانٍ» كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٠٢/١٤) رَفَعْنَا الْحَدِيثَ : (٦٦٣٥) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٨١/٥) عَنْ حَدِيثِ أَبِي عَسِيبٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠٧- (وَرُفِعَ قَبْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ)^(١) .

وَتَحَقَّقَتْ رُؤْيَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا الْقَمَرُ الْأَوَّلُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا :

١٠٨- (رَأَيْتُ كَأَنَّ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حُجْرَتِي ، فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنْ تَصَدَّقَ رُؤْيَاكَ . . يُدْفَنُ فِي بَيْتِكَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةً ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَ . . قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : يَا عَائِشَةُ ؛ هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكَ ، وَهُوَ أَحَدُهَا)^(٢) .

١٠٩- قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (مَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا)^(٣) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانٍ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٠٢ / ١٤) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٦٣٥) .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ » كِتَابُ الْمَغَازِي وَالسَّرَايَا (٦٢ / ٣) .

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ =

وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ أَبِي بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

١١٠- (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا وَجْهُهَا
وَاحِدٌ ، لَمَّا قُبِضَ .. نَظَرْنَا هَكَذَا وَهَكَذَا) (١) .

وَيَتَفَقَّدُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَيْتَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، قَالَ :

١١١- (فَلَمَّا دَفَنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، فَقَالَتْ : يَا أَنَسُ ؛ أَطَابَتْ نُفُوسُكُمْ
أَنْ تَحْشَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثُّرَابَ !؟) (٢) .

وَحَشَوْا الثُّرَابَ أَيَا فَاطِمُ ، وَدُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَوَقَعَ الْفِرَاقُ ، وَأَنْفَصَمَتِ الْعُرَى ، وَأَظْلَمَتِ آطَامُ

-
- = صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٢٢/١) رَفْعُ الْحَدِيثِ : (١٦٣١) .
- (١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ أَبِي مَاجَه » كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٢٣/١) رَفْعُ الْحَدِيثِ : (١٦٣٣) .
- (٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « صَحِيحُ أَبِي حَبَّانٍ » كِتَابُ التَّارِيخِ ، بَابُ وَفَاتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٩٢/١٤) رَفْعُ الْحَدِيثِ : (٦٦٢٢) وَاللَّفْظُ لَهُ ،
وَمِثْلُهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ آخِرِ مَا تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (١٥/٦) رَفْعُ الْحَدِيثِ : (٤٤٦٢) .

الْمَدِينَةِ ، كَمَا أَخْبَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

١١٢- (فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . . أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ)^(١) ، (فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَظْلَمَ وَلَا أَقْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ)^(٢) .

١١٣- (وَتُوفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ)^(٣) وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ^(٤) .

وَوَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ^(٥) .

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٨٨ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦١٨) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (٢٠٥ / ٤) .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي ، بَابُ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٥ / ٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٤٤٦٦) .

(٤) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ فِي سِنِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمْ كَانَ حِينَ مَاتَ (٦٠٥ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦٥١) وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٥) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ =

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : (الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ عُمُرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ وَفَاتِهِ كَانَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً) (١) .

* * *

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ فِي سِنِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمْ كَانَ حِينَ
مَاتَ (٦٠٥ / ٥) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦٥٢) .
(١) فَتْحُ الْبَارِي (١٥١ / ٨) .

ثَانِي عَشَرَ : الْبُكَاءُ مِنَ الْفِرَاقِ

حَانَ الْفِرَاقُ وَهَذَا الْحُزْنُ يُشْجِينِي

يُبْكِي الْأَحِبَّةَ فِي طَيْبَةٍ وَيُبْكِينِي

وَيُبْكِي الصَّحَابَةَ قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَدَتْ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ الْوَفَاةِ وَأَمَارَاتُهَا .

وَبَكَى الْأَنْصَارُ حِينَ حَجَبَهُمْ مَرَضُهُ عَنْ رُؤْيَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَبَكَتْ فَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَسَائِرُ الْمُسْلِمِينَ .

وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَهُوَ يُقْبِلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَالَتْ دُمُوعُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَاللُّؤْلُؤِ كُلَّمَا تَذَكَّرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَحِينَ تَسْمَعُ أُمَّ الْفَضْلِ وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقْرَأُ (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) تَقُولُ وَقَدْ هَيَّجَتْهَا الذِّكْرِيَّاتُ :

١١٤- (يَا بُنَيَّ ؛ وَاللّٰهُ لَقَدْ ذَكَرْتَنِيْ بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّوْرَةِ ؛ إِنَّهَا
لَاخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَّسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي
الْمَغْرِبِ) (١) .

وَبَكَتْ أُمُّ أَيِّمَنَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا لَمَّا زَارَهَا الصَّاحِبَانِ ،
وَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ .

وَلَا زَالَتْ تَتَنَظَّمُ حَبَّاتُ اللُّؤْلُؤِ عَلَى وُجُوهِ الْعَابِدِينَ كُلَّمَا تَذَكَّرُوا
النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ
وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ :
(أَنْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيِّمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا أَنْتَهَيَا إِلَيْهَا . . بَكَتْ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى
الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا) (٢) .

وَبَعْدَ سَنَةٍ ثَقِيْلَةٍ الْخُطَوَاتِ ، خَلَّتْ فِيهَا الدُّرُوبُ مِنْ حَبِيْبِنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَا أَحَدٌ يَشْرَفُ بِهِ ، وَلَا الْعَقِيقُ ،
وَلَا الْعَوَالِي الْغَالِيَاتُ . . يَصْعَدُ أَبُو بَكْرٍ الْمِنْبَرَ يَوْمًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ

(١) صَحِيْحُ الْبُخَارِيِّ ، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ (١٥٢ / ١) رَفْعُ
الْحَدِيثِ : (٧٦٣) .

(٢) صَحِيْحُ مُسْلِمٍ ، أَنْظَرِ الْحَدِيثَ رَفْعُ (٥١) فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ .

يَقُولُ شَيْئًا ، فَيَتَذَكَّرُ حَدِيثًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُهُ
فَيَقُولُ :

١١٥- (قَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ
الْأَوَّلِ ، ثُمَّ بَكَى ، ثُمَّ أَعَادَهَا ، ثُمَّ بَكَى ، ثُمَّ أَعَادَهَا ، ثُمَّ
بَكَى) (١) .

وَيَبْكِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَهُوَ يَتَذَكَّرُ حَبِيبَهُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَيَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مَرَّةً :

١١٦- (يَوْمُ الْخَمِيسِ ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ
دَمْعُهُ الْخَصْيَ) ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : يَا بَنَ عَبَّاسٍ ؛ وَمَا يَوْمُ
الْخَمِيسِ ؟ قَالَ : (أَشَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَجَعُهُ) (٢) ثُمَّ تَحَبَّسَهُ الْعَبْرَاتُ وَلَا يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ ، وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ
تَسِيلُ (حَتَّى رَأَيْتُ عَلَى خَدَّيْهِ كَأَنَّهَا نِظَامُ اللَّوْلُؤِ) (٣) .

(١) إِسْتَاذُهُ حَسَنٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَبِي يَغْلَى » (٧٥ / ١) رَقْمُ
الْحَدِيثِ : (٧٤) .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ ، بَابُ تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ
(١٢٥٧ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٦٣٧) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ ، بَابُ تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ
(١٢٥٩ / ٣) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (١٦٣٧) الْمُتَابَعَةُ (٢١) .

فَهَلْ أَنْقَطَعَ عَنِ اللَّوْلُوْ نِظَامُهَا ؟!

تَقُولُ عُيُونُ الْعَابِدِينَ وَأَفْنِدَتْهُمْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلْ بِكُلِّ الْعَالَمِينَ وَمَا فِي الْكَوْنِ يَا حَبِيبَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّم .

فَكَيْفَ كَانَ حَالُ الْأَصْحَابِ وَهُمْ يَمُرُّونَ بِالْبِقَاعِ وَالْمَوَاطِنِ الَّتِي
عَاشُوا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ فِيهَا ، وَدَارَتْ
رَحَى الْحَقِّ تَدْرُسُ مَعَالِمَ الشُّرْكِ فِيهَا ، كَيْفَ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ ؟!

كَيْفَ كَانَ صَوْتُ بِلَالٍ يَرْفَعُ الْأَذَانَ لَا يَسْمَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! وَهَلْ لَا زَالَ الْمَاءُ عَذْبًا ؟! أَوْ بَقِيَتْ السَّمَاءُ
صَافِيَةً ؟! فَقَدْ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَهَلْ حِينَ نَادَى الْمُنَادِي فِي
النَّاسِ : أَنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَكْتَحَلَتْ
بِالنَّوْمِ الْعُيُونُ ؟!

وَكَيْفَ كَانَتْ الْحَبِيبَةُ عَائِشَةُ وَالْبَضْعَةُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمَا ؟!

كَيْفَ كَانَ الصَّاحِبَانِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟! كَيْفَ كَانَ عُثْمَانُ ؟!
وَكَيْفَ كَانَ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَأَبْنَاءُ جَعْفَرٍ ؟! كَيْفَ كَانَ الْحَبُّ بْنُ
الْحَبِّ ؟!

وَكَيْفَ مَضَتْ الْأَيَّامُ النَّقَالُ عَلَى الْغَالِيَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ شُهُورًا
سِتَّةً وَهِيَ تَنْتَظِرُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ !؟ مَا هَوْنَهَا
عَلَيْهَا غَيْرُ تِلْكَ الْبِشَارَةِ أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِ لُحُوقًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَإِنَّمَا كَانَ الصَّبْرُ بِاِنْتِظَارِ الْاجْتِمَاعِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَتُلَخِّصُ كَلِمَاتُ الصَّحَابَةِ عِنْدَ الْوَفَاةِ الْحِكَايَةَ كُلَّهَا ، فَإِنَّمَا
يَطِيبُ الْمَوْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأَحِبَّةِ : مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ .

١١٧- فَقَدْ كَانَ آخِرَ كَلَامِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمَا : (الْيَوْمَ نَلْقَى الْأَحِبَّةَ : مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ) (١) .

١١٨- وَهَآكَ قِصَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا مَعَ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَهِيَ تَجُودُ بِنَفْسِهَا وَتَمُوتُ ، يَرُويهَا مَوْلَاهَا
ذُكْوَانُ قَالَ : (أَسْتَأْذِنُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَلَى
عَائِشَةَ وَهِيَ تَمُوتُ وَعِنْدَهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَقَالَ : هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وَهُوَ مِنْ خَيْرِ بَنِيكَ ، قَالَ ابْنُ

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ،
أَنْظَرُ : « الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ » (٣٠١/٦) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٦٤٧١) .

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْكَ كُلُّ أَذَى وَنَصَبٍ وَتَلْقَى الْأَحِبَّةَ : مُحَمَّدًا
وَحِزْبَهُ . . . إِلَّا أَنْ تَفَارِقَ رُوحَكَ جَسَدَكَ ^(١) .

إِذَا هُنَاكَ أُلْمِتَقَى عِنْدَ الْحَيِّبِ الْمُصْطَفَى
فِي دَارِ خُلْدٍ مَا بِهَا إِلَّا السَّعَادَةُ وَالرِّضَا
وَلَقَدْ فَقِهَ هَذَا الْأَمْرَ شَيْئًا مِنْ أَبْنَاءِ حَارَتِنَا كَانَ قَدْ اسْتَشْهَدَ وَالِدُهُ
وَعَمَّاهُ خِلَالَ عَامَيْنِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَهُوَ يَخْتَفِي بِشُهَدَاءِ أُسْرَتِهِ
وَالْمَسْجِدِ : أَيُّهَا الشُّهَدَاءُ ؛ لَقَدْ حَبَبْتُمْ إِلَيْنَا الْآخِرَةَ ، وَشَوَّقْتُمُونَا
إِلَيْهَا ، فَمَتَى يَكُونُ الَّلِّقَاءُ ؟!

* * *

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « مُسْنَدُ أَحْمَدَ » (١/٣٤٩) .

الْخَاتِمَةُ

كَانَتْ هَذِهِ الْجَوْلَةُ الْحَزِينَةُ مَعَ وَفَاةِ السَّيِّدِ النَّبِيِّ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طَافَ فِيهَا الْبَاحِثُ مَعَ الصَّحَابَةِ فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ ؛ فِي عَوَالِيهَا وَثَنَائِيهَا ، فِي مَسَاجِدِهَا وَمَنَازِلِ الْوَحْيِ فِيهَا ، فِي آطَامِهَا وَحَوَائِطِهَا ، فِي الْبَيْعِ ، فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُنُورَةِ (١) .

وَشَاهَدَ الْقَارِئُ فِي هَذَا الْبَحْثِ آخِرَ الْأَحْدَاثِ وَأَحْرَهَا ،

(١) يَصْلُحُ حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . . أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ) تَأْصِيلاً مُبَكِّراً لَوْصُفِ الْمَدِينَةِ بِـ (الْمُنُورَةِ) ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ ، أَنْظَرُ : « سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥ / ٥٨٨) رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٣٦١٨) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

وَأَقْرَبَهَا إِلَى النَّفْسِ وَأَشَدَّهَا ، وَأَسْتَمَعَ إِلَى أَلْهَمَسَاتِ النَّبَوِيَّةِ
الْأَخِيرَةِ ، وَإِلَى الْمُنَاجَاةِ الْخَاتِمَةِ .

وَعِشْنَا مَعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَلْحَدَثِ الْعَظِيمِ ،
وَالْجُرَحِ الْأَلِيمِ ؛ وَفَاةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَرَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا ، وَعَائِشَةَ وَفَاطِمَةَ ،
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَسَمِعْنَا عِتَابَ الزُّهْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ : كَيْفَ طَابَتْ نَفُوسُكُمْ أَنْ
تَهِيلُوا التُّرَابَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ مِنْ أَثْقَلِ أَنْوَاعِ الدَّرَاسَاتِ عَلَى
النَّفُوسِ الْمُسْلِمَةِ ، فَهَلْ مَاتَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا ؟!
مَا صَدَّقَهَا عُمَرُ ، وَلَمْ تُصَدِّقْ عَائِشَةُ ، وَدَفَعَتْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ
الْخَبَرَ .

مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي النَّاسِ مَنْ يَهْتَفُ
كُلَّ لَحْظَةٍ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ .

مَا مَاتَ سَيِّدُ سَادَةِ الشُّهَدَاءِ وَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .
مَا مَاتَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُمَّةُ بَلَغَتْ مَا
بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَسَارَتْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي كُلِّ آفَاقِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ .

يَا سَيِّدَ الْعِبَادِ ؛ قَدْ بَزَغَ الْهَلَالُ ، نَفَرَتْ رَكَائِبُ زَحْفِنَا نَحْوَ
الْيَمِينِ وَمِنْ شِمَالٍ ، هَلْذِي الْمَدَائِنُ أَسْلَمَتْ ، وَعَفَا الصَّبَا أَثَرَ
الضَّلَالِ .

لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ تَطِيرُ بِهِمْ
أَشْوَاقُهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُنُورَةِ تُنَاجِيهِمْ وَتُحَادِيهِمْ .

هَلْذِي الْعَوَالِي وَالنَّسَائِمِ مِنْ رَبِّي طَيِّبَةٌ تُهَادِي ، تَهْفُو إِلَيْكَ مَعَ
الْأَصَائِلِ مِنْ مَآذِنِنَا تُنَادِي ، تَمْضِي بِنَا أَحْلَامُنَا فِي اللَّيْلِ فِي وَقْتِ
السَّحَرِ ، نَحْوَ الْمَدِينَةِ رَوْضَةِ الْمُخْتَارِ تُشْرِقُ كَالْقَمَرِ .

يَا أَيُّهَا الْعِبَادُ ؛ آهٍ لَوْ أَنَّ أَنْجَشَةَ أَتَى ، يَخْدُو بِنَا لِلْمُلْتَقَى ،
لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ يَخْوِينَا ، وَيَخْوِي الذُّكْرِيَّاتِ ، يَا أَيُّهَا الْعِبَادُ ، آهٍ .

يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ ؛ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ ؛ حَيَّ
عَلَى الْفَلَاحِ ، قَدْ أَشْرَقَتْ فِي كُلِّ وَادٍ .

نَادَى الْمُنَادِي مِنْ رَبِّي طَيِّبَةً بِلَالٍ ، وَمَضَتْ رَكَائِبُ زَحْفِنَا
مُتَضَمِّنِينَ الْمِسْكَ مِنْ طِيبِ الْفِعَالِ .

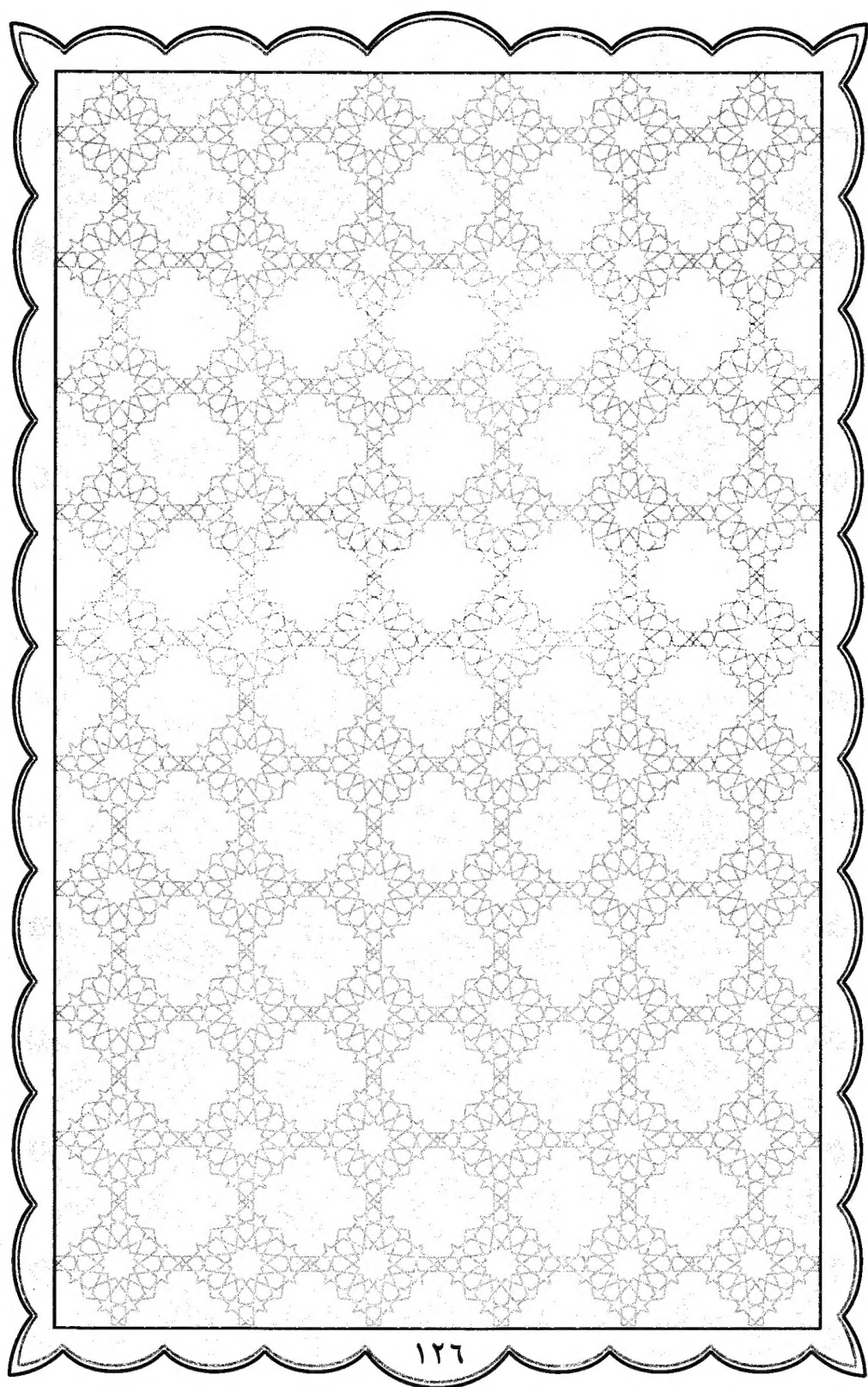
سَيِّدِي أَبَا الْقَاسِمِ ؛ « وَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ » لَمَّا طَوَاكَ الثَّرَى ،
فَلَا عَاشَ مَنْ لَمْ يَعِشْ لِرِسَالَتِكَ رِسَالَةِ السَّمَاءِ .

سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ ؛ سَلَامٌ عَلَيْكَ فِي الْأَوَّلِينَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فِي
الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ
عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ
عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . . ، سَلَامٌ عَلَيْكَ . . .

سَيِّدِي أَبَا الْقَاسِمِ يَا حَبِيبَ قَلْبِي ، وَيَا حَبِيبَ رَبِّي ؛ عَلَيْكَ
السَّلَامُ . . .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *



مُحْتَوَى الْكِتَابِ

| الْمَوْضُوعُ | الْصَّفْحَةُ |
|---|--------------|
| بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ | ١١ |
| تَقْدِيمُ الْأُسْتَاذِ أَبِي أَيْمَنَ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ طَه | ١٦ |
| مُقَدِّمَةُ الْبَاحِثِ | ١٨ |
| أَوَّلًا : الْأَمَارَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | ٢٦ |
| ثَانِيًا : تَلَطُّفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِ أَصْحَابِهِ بِخُضُورِ أَجَلِهِ | ٣٣ |
| ثَالِثًا : تَمْرِیْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ وَتَطَلُّعُهُ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا | ٤٥ |
| رَابِعًا : آخِرُ الْخُطَبِ النَّبَوِيَّةِ | ٥٠ |
| خَامِسًا : آخِرُ الْأَيَّامِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا | ٥٣ |
| سَادِسًا : آخِرُ الصَّلَوَاتِ وَالْوَصِيَّةِ بِالصَّلَاةِ | ٥٧ |

سَابِعًا : أَخِضَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ ... ٦٤

ثَامِنًا : آخِرُ الْأَهَمَّاسَاتِ النَّبَوِيَّةِ ٧٥

تَاسِعًا : أَلْدَارُ الْآخِرَةِ ٨٢

عَاشِرًا : أَثَرُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ٨٤

حَادِي عَشَرَ : غُسْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْفِينُهُ

وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ ٩٨

ثَانِي عَشَرَ : الْبُكَاءُ مِنَ الْفِرَاقِ ١١٦

الْخَاتِمَةُ ١٢٢

مُحْتَوَى الْكِتَابِ ١٢٧

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ